

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية: أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم: الكتاب والسنة

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

الرقم الترتيبي: 2001

رقم تسجيل الطالب:

عنوان البحث

التوبة في القرآن الكريم

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الكتاب والسنة

شعبة: الكتاب والسنة

من إعداد الطالب: عبد المجيد بن قري

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
1- الرئيس: د/ أحمد رحمانى	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة
2- المقرر: د/ سليمان نصر	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
3- العضو: د/ بشير معلى	أستاذ مساعد	جامعة الأمير عبد القادر
4- العضو: د/ محمد الدراجي	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر
5- العضو: أ/ عبد العزيز ثابت	أستاذ مكلف بالدروس	الأمير عبد القادر

نوقشت يوم: 28 ربيع الأول 1422 هـ الموافق لـ: 20 جوان 2001 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين اللذين يستحقان كل بر وإحسان، وإلى الزوجة الصالحة ربة البيت الناجحة.

وإلى أستاذي سلمان ناصر المشرف على هذه الرسالة، وإلى معلمي الأول الطالب الصغير ورارجة الذي يعود إليه الفضل - بعد الله - فيما حفظته من كتاب الله.
وإلى الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - وأسكنه فسيح جنانه - أستاذي المفضل الذي وافق على البحث في هذا الموضوع فجزاه الله عن المسلمين والإسلام كريم الجزاء.
وإلى كل من أمرني بنور العلم والمعرفة من المعلمين والأساتذة .
وإلى أبنائي: عبد المالك، ميمونة ومحمد الهاوي - حفظهم الله ورعاهم -.
وإلى الإخوة والأخوات وكل أقاربي وأقارب زوجتي.
وإلى الطالبين عفو الله وغفرانه الراجين رحمته الخائفين عزابه.

أهري هذا البحث المتواضع.

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين اللذين يستحقان كل بر وإحسان، وإلى الزوجة الصالحة ربة البيت الناجحة.

وإلى أستاذي سلمان ناصر المشرف على هذه الرسالة، وإلى معلمي الأول الطالب

الصغير وراجة الذي يعود إليه الفضل - بعد الله - فيما حفظته من كتاب الله.

وإلى الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - وأسكنه فسيح جنانه - أستاذي المفضل الذي وافق

على البحث في هذا الموضوع فجزاه الله عن المسلمين والإسلام كريم الجزاء.

وإلى كل من أمرني بنور العلم والمعرفة من المعلمين والأساتذة .

وإلى أبنائي: عبد الملك، ميمونة ومحمد الهاوي - حفظهم الله ورعاهم -.

وإلى الإخوة والأخوات وكل أقاربي وأقارب زوجتي.

وإلى الطالبين عفو الله وغفرانه الراجين رحمته الخائفين عزابه.

أهدي هذا البحث المتواضع.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾⁽¹⁾.

وقال: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا ألينا﴾⁽²⁾.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد إلى الصراط المستقيم وأكثر ما يتجلى ذلك في آيات التوبة الداعية إلى العودة إلى الله.

بعد التنكب على الصراط القويم والإسراف في إجتراح السيئات، مما يدعو إلى اليأس و القنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبئوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ،

(1) البقرة: الآية 01.

(2) الإسراء: الآية 09.

ثم لا تنصرون⁽³⁾. وقال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾⁽⁴⁾.

وهناك آيات كثيرة يدعو فيها الله عباده إلى التوبة والإنابة وهجر المعاصي والتزام الطاعات.

إن الحديث عن التوبة هو حديث عن الطاعة والمعصية والخير، والشر، والإيمان، وما يتطلبه من أخلاق عظيمة اتصف بها الأصفياء من خلق الله ممن اتخذوا القرآن شريعتهم ومنهاجهم ففازوا بمحبة الله ورضوانه قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾⁽⁵⁾.

ولقد كان أول الفائزين بهذه المحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن.

ولما كانت التوبة هي الجامعة لكل ما ورد في القرآن من أخلاق فقد أولاهها أهمية كبيرة.

وكان لهذه الأهمية أثر كبير في اختياري لهذا الخلق الذي تحلى به الأنبياء، والأتقياء، والصلحون من عباد الله فكانوا بذلك أسوة لغيرهم في الطاعة والتقوى.

وهناك أسباب أخرى جعلتني أختار هذا الموضوع وهي:

1- توضيح المفهوم الصحيح للتوبة: فهي ليست كلمات وألفاظ تردد مثلما هو شائع عند العامة بل هي عمل جاد، والتزام بشرع الله في كل ما أمر ونهى، ولذا قالت رابعة العدوية: "إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار".

2- السهو، والغفلة عن التوبة إلى الله، وخاصة في هذا العصر الذي طغى فيه حب الدنيا وكراهية الآخرة، وظهرت فيه معبودات كثيرة عبدت من دون الله، مما أدى إلى فساد العقيدة، فاضطربت حياة الناس، وتفككت الروابط الاجتماعية، وتغلبت الأثرة والأنانية على الإيثار والتعلون، وبنيت العلاقات على المصالح الدنيوية الزائلة.

(3) الزمر: الآية 50-51.

(4) النساء: الآية 64.

(5) البقرة: الآية 220.

3- عدم فعالية القوانين الوضعية في تربية العصاة والمذنبين وإرجاعهم إلى الصراط السوي، فالعلاج الناجع، والدواء الشافي لأدواء البشرية المختلفة هو التوبة النصوح، إذ لا يعلم دواء النفوس إلا من برأها وصورها.

4- ميلي إلى هذا اللون من التفسير -التفسير الموضوعي- المعتمد على تناول موضوع معين، وتتبعه في القرآن كله لتوضيح معناه وتحلية جوانبه، وقد تأكد نفع هذا النوع من التفسير بشهادة العلماء ومنهم يوسف القرضاوي الذي أبدى رأيه في هذا النوع من التفسير في مقدمة كتابه -الصبير في القرآن الكريم- فقال: "ورأيت أن هذا اللون من الدراسات القرآنية جد نافع وخاصة في عصرنا ولا يغني عنه وجود التفاسير الكاملة للقرآن كله على النسق المألوف".

ولقد أعدت رسائل اتبع أصحابها هذا المنهج من التفسير، وآخر ما اطلعت عليه رسالة تحت عنوان الهجرة في القرآن الكريم - لأحزمي سامعون جزولي - إلا أنني لم أعثر على بحث في شكل رسالة في موضوع التوبة ما عدا ما أخذ من بعض المصادر، ككتاب التوبة من الإحياء ومن مدارج السالكين: لسعيد حوى وصابر البطاوي، والتوبة لابن تيمية حققها وخرج أحاديثها عبد الله حجاج.

وقد ذكر لي أحد الأئمة العاملين في فرنسا أن الشيخ القرضاوي -ذكره الله- بخير كتب في موضوع التوبة إلا أنني لم أعثر على ما كتب، ومن كتب كذلك في هذا الموضوع الأستاذ رمضان يخلف بعنوان التوبة النصوح وأبو جرة سلطاني بعنوان تبنا إلى الله، وغيرهم.

وما يمكن الإشارة إليه، أن الكتابة في هذا الموضوع وإن اتحد مصدرها و هو القرآن الكريم فإنها تختلف في الطرح والمنهج والتعمق واستخلاص النتائج بما يوفق الله، وبما يتوفر للباحث من مصادر علم يجعله يتفوق على غيره من الباحثين، وقد صادفتني صعوبات أثناء إنجاز هذا البحث منها:

1- الإشراف: وتتمثل الصعوبة فيه في عدم الاستمرارية:

فالأستاذ الذي يشرف على البحث في أول العام ينقطع في آخره لسبب من الأسباب حتى وصل عدد الأساتذة المشرفين على هذا البحث إلى ست ولا يخفى على أحد ما لهذا الانقطاع من سلبيات على الاستمرار في البحث.

2- المصادر والمراجع، وتكمن الصعوبة فيها في عدم ملكية أغلبها وهو ما حدّ من حريستي في استعمالها ففاتي وقت كثير.

3- الوظيفة والأسرة وما يتطلبانه من جهد ووقت.

4- البعد عن الجامعة ومكان إقامة المشرف.

وأمام هذه الصعوبات واصلت إنجاز هذا البحث لأن الأسباب الدافعة للإنجاز كانت أقسى، وكان المنهج المتبع هو:

1- الاعتماد على المصادر القديمة، والمراجع الحديثة.

2- ذكر السور، والآيات، والآيات الواردة فيها بأرقامها.

3- نسبة الأحاديث إلى مصادرهما مع الإشارة إلى أرقامها وكتبها وأبوابها.

4- وضعت ترجمة موجزة لأغلب الأعلام.

5- ذكرت بعض العبر والعظات قدر المستطاع.

6- توثيق ما نقل، بذكر مصدره.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة وستة فصول أما المقدمة فتناولت فيها أهمية الموضوع، وسبب الاختيار، ومن كتب في هذا الموضوع، والصعوبات التي صادفتني أثناء الإنجاز، ومنهج البحث.

الفصل التمهيدي: ويتضمن: المعاصي أسباب الوقوع فيها، وأقسامها.

وقد اشتمل على أربع مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالمعصية، ومسمياتها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالمعصية لغة واصطلاحاً.

وفيه:

أولا : التعريف بها لغة.

ثانيا : التعريف بها اصطلاحا.

المطلب الثاني: مسميات المعصية الموجبة للعقاب في القرآن الكريم.

وفيه:

أولا : الخطيئة. خامسا : الفسوق.

ثانيا : الذنب. سادسا : العصيان.

ثالثا : السيئة. سابعا : العتو.

رابعا : الإثم. ثامنا : الفساد.

المبحث الثاني : أسباب الوقوع في المعصية.

وفيه:

أولا : ضعف الوازع الدين.

ثانيا : الجهل بتعاليم الإسلام.

ثالثا : طاعة الشيطان.

رابعا : التقليد الأعمى.

خامسا : اتباع الهوى.

المبحث الثالث : أقسام المعاصي.

المطلب الأول : أقسامها باعتبار الحقوق.

وفيه:

أولا : المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العبد وربه.

ثانيا : المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العباد.

المطلب الثاني : أقسامها باعتبار الجوارح.

وفيه:

أولا : معاصي القلب.

ثانيا : معاصي اللسان.

ثالثا : معاصي الجوارح.

المطلب الثالث : أقسامها باعتبار الإثم.

أولا : الكبائر.

ثانيا : الصغائر.

المطلب الرابع : أقسامها باعتبار صفة العبد.

أولا : الصفات الربوبية (الكبر، الفخر، حب المدح، حب دوام البقاء).

ثانيا : الصفات الشيطانية (الحسد، الخداع، الأمر بالمنكر والفساد).

ثالثا : الصفات البهيمية (الحرص على قضاء شهوتي البطن والفرج).

رابعا : الصفات السبعية (الغضب، الحقد، التهجم عن الناس بالقتل والضرب والشتيم).

المبحث الرابع : آثار المعاصي في تقويض الأمم وكيفية علاج الإسلام

للعصاة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : أثر المعاصي في تقويض الأمم.

المطلب الثاني : كيفية علاج الإسلام للعصاة.

الفصل الثاني: التعريف بالتوبة وما في معناها من الألفاظ.

المبحث الأول: التعريف بالتوبة.

أولا: التعريف اللغوي.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي.

المبحث الثاني: الألفاظ المشابهة للتوبة في المعنى.

المطلب الأول: التعريف بالاستغفار.

أولا: التعريف بالاستغفار لغة واصطلاحاً.

ثانيا: الاستغفار في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التعريف بالإنبابة.

أولا: التعريف بالإنبابة لغة واصطلاحاً.

ثانيا: الإنابة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التعريف بالأوبة.

أولا: تعريف الأوبة لغة واصطلاحا.

ثانيا: الأوبة في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: أركان التوبة وشروطها، وحكمها والحكمة من مشروعيتها

المبحث الأول : أركان التوبة (التواب، التائب، الذنب)

المبحث الثاني: شروطها (الإقلاع عن الذنب، الندم، العزم على عدم العودة، رد المظالم).

المبحث الثالث: حكمها.

المبحث الرابع: الحكمة من مشروعيتها.

الفصل الرابع: نماذج لبعض التائبين في القرآن الكريم

المبحث الأول : توبة آدم عليه السلام.

المبحث الثاني: توبة يونس عليه السلام.

المبحث الثالث: توبة بني إسرائيل.

الفصل الخامس: آثار التوبة في القرآن الكريم

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: الآثار النفسية.

وفيه:

1- الشعور بالراحة النفسية.

2- التخلص من عقدة الشعور بالذنب والقنوط من رحمة الله.

3- المساهمة في تكوين شخصية سوية.

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية للتوبة.

وفيه:

أولاً: تطهير المجتمع من الرذيلة.

ثانياً: بث الطمأنينة بين أفراد المجتمع.

ثالثاً: إشاعة معاني الأخوة، والاتحاد بين أفراد المجتمع.

المبحث الثالث: الآثار الأخروية للتوبة.

وفيه:

أولاً: محبة الله تعالى للتائبين.

ثانياً: تبديل السيئات حسنات.

ثالثاً: الفوز بالجنة.

الفصل السادس: تصريحات لبعض التائبين والتعليق عليها

تمهيد: الأمان في الإيمان.

1- التصريح الأول: التعليق عليه.

2- التصريح الثاني: التعليق عليه.

3- التصريح الثالث: التعليق عليه.

الخاتمة:

وفيه أهم نتائج البحث، وثمراته وقد ذيلت البحث بدليل اشتمل على ما يأتي:

1- فهرس الآيات القرآنية .

2- فهرس الأحاديث.

3- فهرس الأشعار.

4- فهرس الأعلام.

5- فهرس المصادر والمراجع.

وفي ختام هذه المقدمة أقول: "إن هذا البحث المتواضع الذي لم أبلغ فيه الغاية والكمال هو أول عمل في ميدان البحث ادعوا الله سبحانه وتعالى: أن تتلوه أعمال أخرى تكون أفضل، وامتنالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾⁽⁶⁾

يجب علي أن اشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تحصى ومن أعظمها نعمة الإسلام والتوفيق إلى صالح الأعمال، ثم يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والدعاء الخالص بالتوفيق والسداد للأساتذة والمسؤولين في جامعة الأمير عبد القادر وعلى رأسهم المدير، وأشكر مدير وأساتذة المجلس العلمي لمعهد أصول الدين الذين تفضلوا بالموافقة في البحث في هذا الموضوع..

وأخص بشكري فضيلة الأستاذ الدكتور سلمان ناصر -حفظه الله- المشرف على هذه الرسالة الذي لم يأل جهداً في التوجيه والنصح والإرشاد.

فقد بذل كل ما في وسعه بصدق وإخلاص وشجاعي على متابعة البحث بجدية ونشاط وأشكر الأساتذة المناقشين رئيساً وأعضاء لموافقته على قراءة الرسالة، وتفضلهم بتقديم نصائح وتوجيهات قيمة.

كما أتوجه بالشكر للمشرفين على مكتبة جامعة الأمير عبد القادر ومكتبة المعهد التكنولوجي للتربية الخنساء بسطيف- المؤسسة التي أعمل فيها، وإمام مسجد عمر بن الخطاب -إسماعيل لفقيير- بسطيف الذين سهلوا لي مهمة الاستفادة من المصادر والمراجع.

وأشكر كل من قدم لي خدمة أو توجيهاً من الأساتذة والأصدقاء، وأخص بالذكر الأستاذ زين العابدين مبارك، كما أشكر أبنائي الذين شجعوني على متابعة البحث وإنجازه وهم: نسيم، حسام، عبد المحسن، يونس، أسماء.

وأشكر كل عمال ومتربصات مكتبة الآفاق للإعلام الآلي (BMH) الذين سهروا على طبع هذه الرسالة وإخراجها.

⁽⁶⁾ إبراهيم : الآية 09 .

موضوع البحث (التوبة في القرآن

قسمت البحث إلى ستة فصول :

الفصل الأول

المعاصي أسباب الوقوع فيها وأقسامها وآثارها وكيفية علاجها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالمعصية، وسمياتها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبين :

المطلب الأول : التعريف بالمعصية لغة واصطلاحاً.

وفيه:

أولاً : التعريف بها لغة.

ثانياً : التعريف بها اصطلاحاً.

المطلب الثاني: مسميات المعصية الموجبة للعقاب في القرآن الكريم.

وفيه:

أولاً : الخطيئة.

خامساً : الفسوق.

ثانياً : الذنب.

سادساً : العصيان.

ثالثاً : السيئة.

سابعاً : العتو.

رابعاً : الإثم.

ثامناً : الفساد.

المبحث الثاني : أسباب الوقوع في المعصية.

وفيه:

أولا : ضعف الوازع الدين.

ثانيا : الجهل بتعاليم الإسلام.

ثالثا : طاعة الشيطان.

رابعا : التقليد الأعمى.

خامسا : اتباع الهوى.

المبحث الثالث : أقسام المعاصي.

المطلب الأول : أقسامها باعتبار الحقوق.

وفيه:

أولا : المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العبد وربه.

ثانيا : المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العباد.

المطلب الثاني : أقسامها باعتبار الجوارح.

وفيه:

أولا : معاصي القلب.

ثانيا : معاصي اللسان.

ثالثا : معاصي الجوارح.

المطلب الثالث : أقسامها باعتبار الإثم.

أولا : الكبائر.

ثانيا : الصغائر.

المطلب الرابع : أقسامها باعتبار صفة العبد.

أولا : الصفات الربوبية (الكبر، الفخر، حب المدح، حب دوام البقاء).

ثانيا : الصفات الشيطانية (الحسد، الخداع، الأمر بالمنكر والفساد).

ثالثا : الصفات البهيمية (الحرص على قضاء شهوتي البطن والفرج).

رابعا : الصفات السبعية (الغضب، الحقد، التهجم عن الناس بالقتل والضرب والشتم).

المبحث الرابع : آثار المعاصي في تقويض الأمم وكيفية علاج الإسلام للعصاة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : أثر المعاصي في تقويض الأمم.

المطلب الثاني : كيفية علاج الإسلام للعصاة.

تتمهيد:

الاستقامة على الصراط السوي، دأب المؤمن، وديدنه ومطلبه المنشود. فهو في جهاد دائم لإرضاء ربه ليهديه السبيل الأقوم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْحَسَنِينَ﴾⁽¹⁾ والهداية للسبيل الأقوم، لا تتنافى مع ما يقع من العبد -لضعفه- من معصية فما هي المعصية؟ وما أسباب الوقوع فيها؟ وأقسامها وآثارها؟ وكيفية علاجها؟ ذلك ما سأتناوله في هذا الفصل وذلك من خلال المباحث التالية:

⁽¹⁾ العنكبوت: الآية 69.

المبحث الأول

التعريف بالمعصية، ومسمياتها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبين :

المطلب الأول : التعريف بالمعصية لغة واصطلاحاً.

وفيه:

أولاً : التعريف بها لغة.

ثانياً : التعريف بها اصطلاحاً.

المطلب الثاني: مسميات المعصية الموجبة للعقاب في القرآن الكريم.

وفيه:

أولاً : الخطيئة.

خامساً : الفسوق.

ثانياً : الذنب.

سادساً : العصيان.

ثالثاً : السيئة.

سابعاً : العتو.

رابعاً : الإثم.

ثامناً : الفساد.

إن مخالفة أوامر الله والتعدي على حدوده معصية يترتب عليها العقاب إن لم يعقب ذلك توبة صادقة. فما هي المعصية؟

المطلب الأول: التعريف بالمعصية لغة واصطلاحاً.

أولاً : التعريف بها لغة.

المعصية لغة: مصدر مشتق من الفعل عصى ويقال: العصي، العصيان، والعاصي: لمن وقع في المعصية ولمادة -عصى- وما اشتق منها معان عدة منها:

1- عدم الطاعة: قال ابن منظور ⁽¹⁾: "عصى فلان أميره يعصيه عصياً وعصياناً، ومعصية إذا لم يطعه فهو عاص، وعصي".

2- عدم المتابعة: فالعاصي: هو الفصيل الذي لا يتبع أمه ... كأنه يعصيه ⁽²⁾.

3- عدم انقطاع الدم. فالعاصي "هو العرق الذي لا ينقطع دمه" ⁽³⁾.

ويمكن جمع المعاني السابقة للمعصية في معنى مشترك هو التمتع، وعدم القيسام بالشيء.

(1) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل كان ينتسب إلى ربيعة بن ثابت الأنصاري ولد في محرم

سنة 630هـ، وكان مغرمًا باختصار كتب الأدب المطولة كالأغاني والعقد، وحسبه من العلم أنه تولى القضاء قال عنه الصفدي: لا أعرف في

الأدب كتاباً مطولاً إلا وقد اختصره. من أشهر مؤلفاته لسان العرب توفي رحمه الله سنة 711هـ، بعد أن عمي في آخر عمره.

الدرر الكامنة 264، 263/4. شذرات الذهب 26/6. العبر في خير من عبر 29/4.

(2) لسان العرب 67/15.

(3) المرجع نفسه 67/15.

ثانيا: التعريف بها اصطلاحا.

المعصية في الاصطلاح، وفي عرف الاستعمال الشرعي هي: مخالفة أمر الله وتعدي حدوده يقول الطبري⁽⁴⁾: "عصى: خالف أمر ربه فتعدى إلى ما لم يكن له أن يتعدى إليه" فالمخالفة، والتعدي، والخروج عن طاعة الله، ورسوله هو المعنى القرآني الغالب للمعصية والآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى كثيرة أكثفي بذكر البعض منها قال تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾⁽⁵⁾ وذلك بالأكل من الشجرة المنهي عنها وقال تعالى: ﴿ومن يعص الله، ورسوله، ويتعد حدوده ندخله نارا خالدًا فيها، وله عذاب مهين﴾⁽⁶⁾ فعاقبة عصيان الله ورسوله. الخلود في النار، والعذاب المهين وقوله لفرعون ﴿الآن وقد عصيت قبل، وكنت من المفسدين﴾⁽⁷⁾ فقد خرج فرعون عن طاعة ربه وعصاه، ولم ينفعه إيمانه المتأخر الكاذب إذ قال: ﴿آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾⁽⁸⁾ فلم يرد ذكر اسم الله على لسانه.

المطلب الثاني: مسميات المعصية الموجبة للعقاب في القرآن الكريم.

بعد تدبر الآيات القرآنية في شأن المعصية . اتضح أن القرآن قد أطلق على المعاصي الموجبة للعقاب أسماء عدة منها : الخطيئة، والذنب، والسيئة، والإثم، والفسوق، والعصيان، والعتو، والفسلد. وهي أسماء متقاربة في المعنى، وذلك ما سأوضحه مع الاستشهاد بالآيات القرآنية الدالة على ذلك .

⁽⁴⁾ هز محمد بن جرير أبو جعفر الطبري أحد الفقهاء المجتهدين لقب بشيخ المفسرين له مذهب فقهي مستقل بعد أن كان شافعيًا، له مصنفات عديدة منها: اختلاف الفقهاء، أخبار الرسل والملوك، جامع البيان في تفسير القرآن، مات ببغداد سنة 310هـ.

الخطيب البغدادي تاريخ بغداد 2/162، وابن العماد شذرات الذهب 2/260، والشوازي طبقات الفقهاء 93.

⁽⁵⁾ طه: الآية 121.

⁽⁶⁾ النساء: الآية 14.

⁽⁷⁾ يونس: الآية 91.

⁽⁸⁾ يونس: الآية 90.

أولاً: الخطيئة.

جاء في الإفصاح في فقه اللغة "الخطيئة والخطأ: الذنب، أو ما تُعَمَّد منه، والخطأ ما لم يُتَعَمَّد، وأخطأ سلك سبيل خطأ عامداً أو غير عامد" ⁽⁹⁾ وقد وردت في القرآن على ثلاثة أوجه ⁽¹⁰⁾:

الوجه الأول:

خاطئون من غير شرك قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ⁽¹¹⁾ يعني مذنبين من غير شرك.

الوجه الثاني:

خاطئون مذنبون في شرك كقوله تعالى: ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ⁽¹²⁾ وقال تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ ⁽¹³⁾.

الوجه الثالث:

الخطأ الذي لم يتعمد كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَوَاضِعْنَا لِنَاسٍ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ⁽¹⁴⁾ أي من غير تعمد.

ثانياً: الذنب.

هو: "الإثم، والجمع ذنوب، وجمع الجمع ذنوبات وأذنّب صار ذا ذنب، وتذنّب على فلان: ادعى عليه ذنباً والآيات التي ورد فيها ذكر الذنب كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ،

⁽⁹⁾ حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصبيدي في الإفصاح في فقه اللغة 253/1.

⁽¹⁰⁾ الحسين بن محمد الدمغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، ص: 159.

⁽¹¹⁾ يوسف: الآية 97.

⁽¹²⁾ القصص: الآية 07.

⁽¹³⁾ الحاقة: الآية 37.

⁽¹⁴⁾ البقرة: الآية 285.

وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴿⁽¹⁵⁾ وقوله: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ : فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ⁽¹⁶⁾ وقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ ⁽¹⁷⁾ .

ثالثاً: السيئة.

وهي الفعلة القبيحة، وضدها الحسنة ⁽¹⁸⁾ وقد وردت في القرآن في صيغة الجمع -السيئات- على خمسة أوجه ⁽¹⁹⁾:

الوجه الأول :

السيئات بمعنى الشرك في قوله تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ ⁽²⁰⁾ وقوله: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ ⁽²¹⁾.

الوجه الثاني:

السيئات بمعنى العذاب في قوله تعالى: ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ ⁽²²⁾.

⁽¹⁵⁾ الأنعام: الآية 07.

⁽¹⁶⁾ العنكبوت: الآية 40.

⁽¹⁷⁾ آل عمران: الآية 135.

⁽¹⁸⁾ الراغب الاصفهاني، مفردات القرآن، ص: 252.

⁽¹⁹⁾ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص: 256.

⁽²⁰⁾ يونس: الآية 27.

⁽²¹⁾ النساء: الآية 18.

⁽²²⁾ الزمر: الآية 48.

الوجه الثالث:

السيئات بمعنى الضر. في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَذْقَنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنْ ذَهَبَ

السيئات عني﴾ (23).

الوجه الرابع:

السيئات بمعنى الفاحشة وهي إتيان الذكور (24) كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمَهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ

وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْلَمُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ (25).

الوجه الخامس:

السيئات بمعنى الصغائر (26) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (27) وقوله:

﴿وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (28).

رابعا : الإثم.

جاء في معجم مفردات الراغب الأصفهاني: "الإثم والأثم اسم للأفعال المبطلّة عن الثواب،

وجمعه آثام وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ، وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (29) أي في تناولهما إبطاء عن الخيرات" (30)

وقد ورد لفظ -الإثم- في القرآن على أربعة أوجه (31):

(23) هود: الآية 10.

(24) الأكرسي البغدادي، روح المعاني 105/12.

(25) هود: الآية 77.

(26) المرجع نفسه 157/12.

(27) هود: الآية 114.

(28) الأحقاف: الآية 15.

(29) البقرة: الآية 217.

(30) الأصفهاني، ص: 05.

(31) إصلاح الوجه والنظائر، ص: 16.

الوجه الأول:

الإثم يعني الشرك في قوله تعالى ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم، وأكلهم السحت﴾⁽³²⁾.

الوجه الثاني:

الإثم يعني المعصية غير المتعمدة⁽³³⁾ في قوله تعالى: ﴿فمن اضطر في مخنصة غير متجانف لإثم﴾⁽³⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾⁽³⁵⁾.

الوجه الثالث:

الإثم.. بمعنى الذنب المغفور⁽³⁶⁾ كما في قوله تعالى: ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه﴾⁽³⁷⁾.

الوجه الرابع:

الإثم يعني الخطأ كما في قوله تعالى: ﴿فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً﴾⁽³⁸⁾.

خامساً: الفسوق .

الفسوق في اللغة: هو الخروج عن الشيء قال الطبري: «وأصل الفسق في كلام العرب الخروج عن الشيء يقال : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، ومن ذلك سميت الفأرة فويسقة لخروجها

(32) المائدة: الآية 65.

(33) المرائي 55/2.

(34) المائدة: الآية 04.

(35) المائدة: الآية 03.

(36) الطبري 310/2.

(37) البقرة: الآية 201.

(38) البقرة: الآية 181.

عن جحرها فكذلك المنافق، والكافر سمياً فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما، ولذلك قال جل ذكره في صفة إبليس: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (39) «(40)».

والفسق في القرآن على ستة أوجه (41):

الوجه الأول:

الفسق: يعني الخروج عن الطاعة (42) والدين كما في قوله تعالى: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ (43).

الوجه الثاني:

الفسق ويعني الشرك كما في قوله تعالى: ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾ (44).

الوجه الثالث:

الفسق يعني المعصية من غير شرك كما في قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ (45).

الوجه الرابع:

الفسق يعني الكذب كما في قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ (46).

(39) الكهف: الآية 49.

(40) الطبري 1/182. وانظر القرطبي 1/245-146، والألوسي 1/210.

(41) إصلاح الوجوه والنظائر، ص: 359-360.

(42) القرطبي 8/199.

(43) التوبة: الآية 67.

(44) السجدة: الآية 20.

(45) المائدة: الآية 127.

(46) الحجرات: الآية 06.

الوجه الخامس:

الفسق يعني الإثم كما في قوله تعالى: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم﴾⁽⁴⁷⁾ يعني مأثماً يحل عليكم.

الوجه السادس:

الفسق بمعنى السب والشتم⁽⁴⁸⁾ كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾⁽⁴⁹⁾.

سادسا : العصيان.

هو الخروج عن الطاعة، وذلك لمخالفة العبد أمر ربه⁽⁵⁰⁾ قال تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾⁽⁵¹⁾ وقال: ﴿يومئذ يود الذين كفروا، وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض، ولا يكتمون الله حديثا﴾⁽⁵²⁾.

سابعا : العتو.

هو مجاوزة الحد في الاستكبار وهو ما ذكره الطبري فقال: "العتو التجاوز في الاستكبار"⁽⁵³⁾.

⁽⁴⁷⁾ البقرة: الآية 281.

⁽⁴⁸⁾ القرطي 409/2.

⁽⁴⁹⁾ البقرة: الآية 196.

⁽⁵⁰⁾ الأصفهاني ص 349، وانظر سميج عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم وجمع البيان والحديث، ص: 592.

⁽⁵¹⁾ الجن: الآية 23.

⁽⁵²⁾ النساء: الآية 42.

⁽⁵³⁾ الطبري 01/11.

وقال القرطبي ⁽⁵⁴⁾ : "العتو أشد الكفر وأفحش الظلم" ⁽⁵⁵⁾ قال تعالى : ﴿ لقد استكبروا في أنفسهم ، وعتوا عتوا كبيرا ﴾ ⁽⁵⁶⁾ وقال تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ، وعذبناها عذابا نكرا ﴾ ⁽⁵⁷⁾ .

ثامنا : الفساد.

نقيض الصلاح ⁽⁵⁸⁾ قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ ⁽⁵⁹⁾ .

وقال القرطبي الفساد : "عبادة غير الله تعالى ، والجور في الأفعال بحسب الشهوات . وقد ورد لفظ -الفساد- في القرآن على ستة أوجه ⁽⁶⁰⁾ :

الوجه الأول:

الفساد بمعنى المعاصي ⁽⁶¹⁾ كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾ ⁽⁶²⁾ .

⁽⁵⁴⁾ هو أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن أبي بكر ابن مرج الأنصاري الخزرجي المالكي من أشهر مصنفاته الجامع لأحكام القرآن مات سنة 671هـ .
نويهض عادل معجم المفسرين 479/2 .

⁽⁵⁵⁾ القرطبي 20/13 .

⁽⁵⁶⁾ الفرقان: الآية 21 .

⁽⁵⁷⁾ الطلاق: الآية 08 .

⁽⁵⁸⁾ القرطبي 202/1 .

⁽⁵⁹⁾ البقرة: الآيتان 10-11 .

⁽⁶⁰⁾ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص: 357-358 .

⁽⁶¹⁾ القرطبي 202/1 .

⁽⁶²⁾ البقرة: الآية 10 .

الوجه الثاني:

الفساد بمعنى الهلاك ⁽⁶³⁾ في قوله تعالى: ﴿ لتفسدن في الأرض مرتين ﴾ ⁽⁶⁴⁾ ومثله قوله تعالى: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ﴾ ⁽⁶⁵⁾

ونظيره قوله تعالى: ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ ⁽⁶⁶⁾.

الوجه الثالث:

الفساد بمعنى القحط وقلة النبات ⁽⁶⁷⁾ قال تعالى: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر ﴾ ⁽⁶⁸⁾.

الوجه الرابع:

الفساد بمعنى إيقاع الفرقة وتشتيت الشمل ⁽⁶⁹⁾ كما في قوله تعالى: ﴿ أئذر موسى، وقومه ليفسدوا في الأرض ﴾ ⁽⁷⁰⁾ ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد ﴾ ⁽⁷¹⁾.

⁽⁶³⁾ المراغي مجلد 6 ص: 19.

⁽⁶⁴⁾ الإسراء: الآية 04.

⁽⁶⁵⁾ الأنبياء: الآية 22.

⁽⁶⁶⁾ المؤمنون: الآية 72.

⁽⁶⁷⁾ ابن كثير 364/5.

⁽⁶⁸⁾ الروم: الآية 40.

⁽⁶⁹⁾ القرطبي 261/7.

⁽⁷⁰⁾ الأعراف: الآية 127.

⁽⁷¹⁾ غافر: الآية 26.

الوجه الخامس:

الفساد يعني الخراب بالظلم والجور⁽⁷²⁾ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾⁽⁷³⁾.

الوجه السادس:

الفساد يعني: السحر⁽⁷⁴⁾ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁷⁵⁾.

تلك هي مسميات المعصية في القرآن الكريم، و ما دلت عليه من معنى المخالفة، والتجاوز لحدود الله فيما صغر من الذنب، أو كبر، و ما توعدا الله به المخالفين من العقاب كل حسب ذنبه وعصيانه.

⁽⁷²⁾ المراغي 137/19.

⁽⁷³⁾ النمل : الآية 35.

⁽⁷⁴⁾ القرطبي 368/8.

⁽⁷⁵⁾ يونس: الآية 81.

المبحث الثاني

أسباب الوقوع في المعاصي

ويضم مايلي:

أولاً: ضعف الوازع الديني.

ثانياً : الجهل بتعاليم الإسلام .

ثالثاً: طاعة الشيطان.

رابعاً : التقليد الأعمى .

خامساً: اتباع الهوى.

أسباب الوقوع في المعاصي كثيرة أخص بالذكر منها ما يأتي:

أولاً: ضعف الوازع الديني.

إذا الوازع طاقة إيمانية روحية تسمو بعقيدة المؤمن فتجعله يراقب ربه، ويخشاه في السر، والعلن، وفي كل ما يفعل ويذر بضمير حي متيقظ موقن بأن الله يعلم سره، ونجواه وهو الذي: ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾⁽¹⁾ وبذلك يأتمر بما أمره الله به، وينتهي عما نهاه عنه، لا يخشى في ذلك لومة لائم مبتغاه الوحيد رضا الله. قال تعالى في شأن تبليغ رسله لرسالاته: ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾⁽²⁾.

ووازع الدين يفعل في النفوس مالا يفعله وازع القوة، والسلطان. يقول الشيخ محمود شلتوت: "ووازع الدين يفعل في النفوس مالا يفعله وازع القوة والسلطان فإذا ألف المرء أن يستمع إلى صوت ضميره وأن يراقب ربه ويخشى عقابه فقد أمن المجتمع بوائقه، واستراح من كثير من شروعه. أما إذا كان الاعتماد على وازع السلطان، وحارس القانون فإن الحارس قد يغفل، والقانون قد يؤوّل، وقد يُتَحَايَل للتخلص من سلطانه لذلك تكثر الجرائم، والمفاسد إذا قلت التربية الدينية"⁽³⁾.

حقاً إن كثرة الجرائم، والمفاسد ناتجة عن قلة التربية الدينية، وضعف الوازع الديني: فمرتكب المعصية -صغيره كانت أم كبيرة- شخص ضعيف الإيمان. لم يأخذ من الدين ما يشحذ همته، ويعلي قدره، ويرتفع به من عالم المعصية إلى عالم الطاعة. وأسباب ضعف الوازع الديني كثيرة أهمها:

1- النفس الأمارة بالسوء.

قال الله تعالى: ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾⁽⁴⁾.

(1) غافر: الآية 19.

(2) الأحزاب: الآية 39.

(3) محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص: 379.

(4) يوسف: الآية 53.

إنها النفس التي تلقي بصاحبها في حمأة المعاصي وتجره إلى مواطن السوء وتحقر في عينيه ما يجترح من السيئات، ولذا وجب ترويض هذه النفس، وكبح جماحها، وحملها على طاعة الله حتى لا تستحوذ على صاحبها وتضعه في سجنها: فلا يأتمر إلا بما أمرت، ولا ينتهي إلا عما نهت فيعيش عبداً لغير الله.

2- قرنساء السوء.

من شياطين الإنس: من لا تذكر رؤيتهم بالله فهم يسعون بكل ما أتوا من قوة أن يفتنوا المؤمن عما عرف من الحق. والمرء على دين خليله - كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" (5).

3- غلبة التزعة المادية.

إذا فحصر اهتمام أغلب الناس في جمع المال وإشباع الغرائز النهمية دون رقيب أو حسيب مما ساعد في إذكاء نار الشهوات، وإطفاء نور الإيمان، والغفلة عما توعد الله به الكافرين من العذاب الأليم. قال تعالى: ﴿الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون﴾ (6).

إنه المال الذي أطلق العنان لإشباع شهوتي البطن، والفرج دون تفريق بين الحلال والحرام.

تلك هي أسباب ضعف الوازع الديني الموقعة في المعاصي. يختلف أنواعها المنذرة بفناء الأمة مادياً، ومعنوياً. ولقد أدرك أعداء الإسلام أن هلاك الأمة الإسلامية يكمن في ضعف وازعها الديني فسخرُوا كل جهودهم لإضعافه حتى تتم لهم الغلبة. يقول الشيخ الغزالي - رحمه الله - : "إن ضعف

(5) رواه الإمام أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين رقم 8065. ملاحظة: كل الأحاديث في هذا البحث مخرجة من قرص مضغوط (شركة صخر للطبع والتأليف الكويت سنة 1996).

(6) التوبة: الآيتان 34-35.

الوازع الديني بلاء ذريع الفتك بكل ما نحرص على بقاءه، وصيانته، بل هو أقصر الطرق إلى إفناء أمتنا ماديا، وأديا " (7).

والواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية يصدق ما ذهب إليه الشيخ الغزالي - رحمه الله - في زمن ضعف فيه الوازع الديني، وتكالت قوى الشر للنيل من الإسلام والمسلمين .

وقد أوضح الدكتور محمد البهي: "أن تكوين الوازع الديني من جديد، وتقويته يعتمد على عوامل ذكرت في قوله تعالى: ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، وما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وبالأخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم، وأولئك هم المفلحون ﴾ (8) وقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله، ورسوله، والكتاب الذي نزل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (9).

إن هذه الخليقة الدينية "الوازع الديني" تقوم على عناصر الإيمان الثلاثة:

1- الإيمان بالله.

2- الإيمان بالرسول، وما أنزل عليه من وحي هو مضمون رسالته.

3- الإيمان باليوم الآخر وما يقع فيه من جزاءات.

(7) الشيخ محمد الغزالي، كفاح دين، ص: 167.

(8) البقرة : الآيات 1-2-3-4.

(9) النساء: الآية 135.

وهذه العناصر هي التي تدفع إلى حسن السلوك، والاستقامة في المعاملة، والتعاون، والتآخي بين الأفراد ويكون ذلك بدافع ذاتي لا يحتاج إلى محرك خارجي فالسلطان على الفرد هو الاعتقاد الذي يحمله المؤمن بين جنبيه" (10) إن حياة الأمة مرهونة بإيمانها، واستجابتها لدعاء ربها، ورسولها. قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (11) ولا حياة إلا بالإيمان في ظل القرآن، وسنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- والله متم نوره، ومظهر دينه، ولو كره الكافرون قال الله تعالى : ﴿ يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ يَتِمَّ نَوْرُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (12) وقال تعالى : ﴿ يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ يَتِمُّ نَوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (13).

والله لا يخلف وعده في نصر رسله، والمؤمنين قال تعالى : ﴿ أَنَا لَنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (14) فليأخذ المؤمنون بأسباب تقوية الوازع الديني، ويتخللوا عن أسباب إضعافه فيسعدوا في الدنيا والآخرة.

ثانيا : الجهل بتعاليم الإسلام .

من أسباب الوقوع في المعاصي كذلك الجهل بتعاليم الإسلام الواردة في كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولذا دعا الإسلام إلى العلم، ورغب فيه في أول آية نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (15). إن العلم الصحيح هو الوسيلة الوحيدة الموصلة للعقيدة الحقّة ولذا أمر الإسلام به في شأن توحيد الله وتزويجه عن الشريك قال تعالى :

(10) الدكتور محمد الباهي، الإسلام في الواقع الديموقراطي المعاصر، ص: 42-44 بتصرف. وانظر كتاب يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص: 228-247 فقد فصل في موضوع الضمير.

(11) الأنفال: الآية 24.

(12) التوبة: الآية 32.

(13) الصف : الآية 08.

(14) غافر: الآية 51.

(15) العلق: الآيات 1-2-3-4-5.

﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾⁽¹⁶⁾ وعموماً فإن كل ما ورد في الإسلام من مدح للعلم فهو في الوقت ذاته ذمٌ للجَهل، وحث للزيادة من العلم حتى يُعبدَ الله -بما شرع- عن وعي .

والعلم النافع هو الذي يهدي صاحبه إلى معرفة خالقه ويدله إلى التعاليم الإسلامية السمحة التي تُمُنِّحه العزة وتبعده -عما شاع في دنيا الناس- من العادات والتقاليد الفاسدة. إن مساءلة أهل العلم من التعاليم الإسلامية قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾⁽¹⁷⁾ وبغياب العلم، وسؤال أهله تشيع بين الناس معاصي يعتقد أهلها أنهم يحسنون صنعا، فيُضِلُّون، ويُضِلُّون. قال تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾⁽¹⁸⁾ والأمثلة الدالة على الجَهل بالتعاليم الإسلامية كثيرة منها:

1- الجَهل بأمور الفتوى، والتعليم.

إن بيان حكم الله في قضية من القضايا يتطلب علماً واسعاً، وفقهاً في الدين، ومعرفة شروط الفتوى وضوابطها⁽¹⁹⁾، يقول الدكتور عزت علي عطية: «حذر الله سبحانه وتعالى من القول بغير علم، وجعل ذلك من المحرمات بل من أكبرها فقال: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لا تعملون﴾⁽²⁰⁾ وقال: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم﴾⁽²¹⁾ والسبب في ذلك أن القول بغير علم كذب، والكذب حرام، واستجابة لدعوة الشيطان، وقد حذرنا الله من اتباعه فقال: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، ولا

(16) محمد: الآية 20.

(17) الأنبياء: الآية 7.

(18) الكهف: الآية 99.

(19) للترسع في هذا الموضوع اقرأ كتاب الفتوى بين الانضباط والتسيب، للشيخ يوسف القرضاوي.

(20) الأعراف: الآية 31.

(21) الأنعام: الآية 145.

تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء، والفحشاء، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» (22) «(23).

ومن الأحاديث المحذرة من الفتوى، والحكم بغير علم خاصة في الأمور الدينية قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- "من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه" (24) وقوله: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار" (25).

وقد علق الدكتور عزت علي عطية على الحديثين السابقين بقوله: «ومن المعلوم أن القول في الدين بغير علم إضلال، وأن على من أضل إثم من وقع في الضلال والأدلة على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبِّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾» (26).

وعلى من لا يعلم أن يقول: لا أدري أو يسأل غيره، أو يطلب مهلة ليتبين وجه الحق وقد رسم لنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- رغم علمه الوافر واتصاله بوحى السماء هذا المنهج العلمي التريه فعن عبد الله بن مسعود قال: "كنت أمشي مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حِثْر بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح، وقال بعضهم لا تسألوه عن الروح فسألوه فقام متوكئا على العسيب، وأنا خلفه فضننت أنه يوحى إليه فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾» (27) فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه" (28)، فقد أمسك الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الرد حتى نزل عليه الوحي.

(22) البقرة: الآيتان 167-168.

(23) الدكتور عزت علي عطية، البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، ص: 191.

(24) رواه أبو داود في كتاب العلم رقم 3172 واللفظ له، وابن ماجه في المقدمة رقم 52، والإمام أحمد، باقي مسند المكثرين رقم 7918 بالفاظ أخرى.

(25) رواه أبو داود في كتاب الاقضية رقم 3102 وقال: "هذا أصح شيء فيه" واللفظ له.

(26) النحل: الآيتان 24-25.

(27) الإسراء: الآية 85.

(28) رواه البخاري في كتاب التوحيد رقم 2902 واللفظ له، والترمذي رقم 3065، وأحمد رقم 3505.

وعلى هذا المنهج الإسلامي التريه سار السلف الصالح في عصور الدين الزاهرة»⁽²⁹⁾.

2- حصر الدين في بعض التعاليم دون الأخرى.

الدين هو مجموعة من التعاليم، ولا يمكن حصره في البعض دون الآخر مما يؤدي إلى الحرص على القيام ببعض التعاليم، وإهمال البعض الآخر كمن يتصور أن الدين صلاة، وصيام -مع ما لهما من أهمية- فيبالغ في أمرهما، ويُقَصِّر في غيرهما. يقول عبد المنعم النمر: «فهنالك قوم يتصورون الدين صلاة وصياما فيبالغون في أمرهما، ويتخذون الصلاة عنوانا وحيدا على المسلم، ثم هم بعد ذلك لا يبالون، بأي مظهر، أو تعليم آخر من تعاليم الإسلام، فهم يسارعون إلى الصلاة، ويحرصون على أدائها في تبتل يشبه تبتل الصالحين، فإذا خرجوا إلى عملهم لم يظهر عليهم أثر من آثار عبادتهم: فهم في معاملتهم للناس كذئابون، غشاشون، يسارعون إلى الشر مسارعتهم إلى أداء الصلاة، ولا يلقون بالا إلى قول الحكيم الخبير: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون، ويمنعون الماعون﴾⁽³⁰⁾ ولا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا"⁽³¹⁾ وهؤلاء أسوأ مثل للمصلين، وأقبح دعاية للمتدينين استعاذ منهم السابقون، وعلمنا الله في قرآنه أن ندعوه حتى لا نكون منهم: ﴿ربنا لا تجعلنا قتلة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾⁽³²⁾»⁽³³⁾.

ومن المسلمين -اليوم- من حصر الدين في الحج إلى بيت الله الحرام، ولم يكتف بأداء الفرض، بل بالغ فكرر مرات، ومرات بينما إخوانه من الأقارب والجيران يعيشون حياة البؤس والحرمان، أفلا أنفق أمواله في وجوه البر والإحسان، وتجنب الرياء والمباهاة؟، قال تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي

⁽²⁹⁾ البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، ص: 191-193 بتصرف بسيط.

⁽³⁰⁾ الماعون: الآيات 4-5-6.

⁽³¹⁾ رواه مسلم في كتاب الإيمان رقم 146 واللفظ له، وابن ماجة في التجارات رقم 2216، واحمد في مسند المكثرين رقم 4867، والدارمي في البيوع

رقم 2429.

⁽³²⁾ الممتحنة: الآية 5.

⁽³³⁾ عبد المنعم النمر، بين الدين والحياة، ص: 162.

وإن تحفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ﴿⁽³⁴⁾﴾ وقال: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق، والمغرب، ولكن البر من آمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب﴾ ⁽³⁵⁾.

3- فصل الدين عن الحياة السياسية، والاقتصادية.

وهو جهل بين، يدل على فهم قاصر للدين الإسلامي الذي جاء لينظم حياة الناس في كل المجالات. قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ⁽³⁶⁾.

وذلك ما ارتضاه الله لعباده فقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ⁽³⁷⁾.

يقول عبد المنعم النمر: "وهناك قوم يفهمون الإسلام على أنه لا صلة له بنظم الحياة غير متدخل في تنظيمها، ولا توجيهها. فإذا تكلم عالم في شأن الحرية للمسلمين، ومناهضة الغاصبين والمستعمرين قالوا عالم خارج عن الحد، وليس له إلا المنع والصد، واتهموه بالتدخل فيما لا يعنيه" ⁽³⁸⁾.

إن قصر الدين على العبادات، وفصله عن الحياة بصفة عامة، هي دعوة العلمانيين -اليوم- الذين يُصَنَّفُونَ من ضمن من قال الله فيهم: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب، وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما يعملون﴾ ⁽³⁹⁾.

⁽³⁴⁾ البقرة: الآية 271.

⁽³⁵⁾ البقرة: الآية 176.

⁽³⁶⁾ الأنعام: الآية 39.

⁽³⁷⁾ المائدة : الآية 04

⁽³⁸⁾ المرجع نفسه، ص: 136

⁽³⁹⁾ البقرة: الآية 84.

إنه الداء الذي أصاب بعض "مسلمي" هذا العصر، فكانوا بذلك فتنة لغيرهم .

ومن لم يلتزم بدينه ويفهم تعاليمه، ويعمل بها. كيف يبلغها لغيره، ويمكنه من ممارستها ؟.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنه لا شفاء من هذا الداء إلا بتطبيق تعاليم الإسلام كلها كما بينها الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم- وعَلَّمَهُ إياها جبريل -عليه السلام- وتعلّمها بعد ذلك صحابته رضوان الله عليهم-، وطَبَّقوها في حياتهم وعلى غيرهم. دون تنطع أو تشدد ⁽⁴⁰⁾ فسدد الله خطاهم، ونصرهم نصراً مؤزراً على أنفسهم، وأعدائهم والشیطان .

ثالثاً: طاعة الشیطان.

من أسباب الوقوع في المعاصي: طاعة الإنسان للشیطان الذي فسق عن أمر ربه، وخرج عن طاعته بعدم السجود لآدم، بعد أن نفخ الله فيه من روحه، وسجد له الملائكة أجمعون قال تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ ⁽⁴¹⁾ وقال: ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ ⁽⁴²⁾ وقال: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر، وكان من الكافرين ﴾ ⁽⁴³⁾.

فطرده الله من جنة الخلد قائلاً: ﴿ أخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ ⁽⁴⁴⁾.

ووعده بإبقائه حياً إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ قال أنظرني إلى يوم يبعثون، قال إنك

من المنظرين ﴾ ⁽⁴⁵⁾.

⁽⁴⁰⁾ لمزيد من علم إقرأ كتابي: على طريق العودة إلى الإسلام، رسم لمنهاج، وحل لمشكلات، للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي. والصحوة الإسلامية

بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم للشيخ يوسف القرضاوي.

⁽⁴¹⁾ الكهف: الآية 49.

⁽⁴²⁾ الأعراف: الآية 11.

⁽⁴³⁾ البقرة: الآية 33.

⁽⁴⁴⁾ ص: الآيتان 76-77.

⁽⁴⁵⁾ الأعراف: الآيتان 13-14.

وقد قطع اللعين عهداً على نفسه، بإضلال بني آدم، والكيد لهم: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لأتبعنهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (46).

إنه قول من الشيطان يدل على مدى الجهد الذي يبذله لإضلال ابن آدم، فهو يأتيه من كل طريق ممكن من اليمين، والشمال، ومن الأمام، والخلف.

فالشيطان بين العداوة لبني آدم، وهم مأمورون بمقابلته بعداوة أكبر قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (47).

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: "أي فعادوه ولا تطيعوه ويدلكم على عداوته إخراجهم أهلككم من الجنة، وضمانه إضلالكم في قوله: ﴿ثم لأتبعنهم من بين أيديهم ومن خلفهم﴾، فأخبرنا جل، وعز أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتصر لنا قصته، وما فعل بأينا آدم -صلى الله عليه وسلم- وكيف انتدب لعداوتنا، وغرورنا من قبل وجودنا، وبعده، ونحن على ذلك نتولاه، ونطيعه فيما يريد منا، مما فيه هلاكنا وكان الفضيل بن عياض (48) يقول: "يا كذاب، يا مفتر، اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر، وقال ابن السماك يا عجباً لمن عصى المحسن! بعد معرفته بإحسانه! وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته" (49).

وهدف الشيطان -البعيد- من وراء إضلال الإنسان أن يلقيه في الجحيم، ويحرمه من الجنة قال تعالى: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (50).

(46) الأعراف: الآية 16.

(47) فاطر: الآية 06.

(48) هو فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي البربري المروزي الخراساني أبو علي، ولد بخمرسان وقدم الكوفة وهو كبير فسمع الحديث من منصور وعبيد الله بن عمر والأعمش وغيرهم، قال شريك: لم يزل لكل قوم حجة في زمانهم وإن الفضيل بن عياض حجة لأهل زمانه. وقال عنه الذهبي: الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام، وقال فيه ابن كثير: أحد الأئمة العباد الزهاد وأحد العلماء والأولياء توفي رحمه الله سنة 187 هـ بمكة.

العبر 1/231. البداية والنهاية 10/199، 200. التهذيب للمحافظ 3/399، 400.

(49) القرطبي 14/324.

(50) فاطر: الآية 06.

ولتحقيق ذلك الهدف يعمل كل ما في وسعه ليوقع الإنسان في المعاصي، والذنوب، فعن جابر ابن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الشيطان قد يس أن يعبد المصلون ولكن في التحريش بينهم" ⁽⁵¹⁾ أي بإيقاع العداوة، والبغضاء بينهم قال تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ ⁽⁵²⁾ كما يجتهد في إفساد العبادة والطاعة ليحرم العبد الأجر والثواب .

فقد جاء أحد الصحابة إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول له إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي، وقراءتي يلبسها عليّ فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذلك شيطان يقال له -خزب- فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً قال: ففعلت ذلك فأذهب به الله عني" ⁽⁵³⁾.

وقد بين القرآن الكريم الأساليب التي يتبعها الشيطان للإضلال ومنها:

- 1- تزيين الباطل فقد قال لرب العزة: ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض، ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾ ⁽⁵⁴⁾.
- 2- إظهار النصيح للإنسان، فقد أقسم لأبينا آدم، وأمنا حواء على أنه ناصح لهما قال تعالى: ﴿وقاسمهما أني لكما من الناصحين﴾ ⁽⁵⁵⁾.
- 3- الوعد والتمنية قال تعالى: ﴿يعدهم، ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ ⁽⁵⁶⁾.

⁽⁵¹⁾ رواه الترمذي في كتاب البر والصلة رقم 1860 واللفظ له. ورواه أحمد، في باقي مسند المكثرين رقم 14288.

⁽⁵²⁾ المائدة: الآية 91.

⁽⁵³⁾ رواه مسلم في كتاب السلام رقم 4083، واللفظ له، وأحمد في مسند الشاميين رقم 17224.

⁽⁵⁴⁾ الحجر: الآيات 39-40.

⁽⁵⁵⁾ الأعراف: الآية 21.

⁽⁵⁶⁾ النساء: الآية 120.

إن عداوة الشيطان للإنسان لن تزول لأنه يرى أن طرده، ولعنه من الجنة كان بسبب آيينا آدم، فلا بد أن ينتقم منه ومن ذريته من بعده قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُ أَخْرَجَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكْ ذَرْيَتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ⁽⁵⁷⁾ أي "لأستأصلنهم بالإغواء، من احتنك الجراد الأرض إذا جرّد ما عليها أكلا" ⁽⁵⁸⁾. يقول الشيخ أحمد سحنون: «ولا عجب فهذه العداوة عداوة الحسد، التي يكون وقود نارها الحسود قبل المحسود أو كما قيل: "لله درّ الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله". وعداوة الحسد كما أنها قديمة الميلاد عميقة الجذور في التاريخ، فهي باقية على الزمان مستعصية على سلطان الزوال. ولذا قيل: كل العداوات قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك على حسد» ⁽⁵⁹⁾.

وقد ذكر القرآن الكريم أن الشيطان لا يقدر على إضلال عباد الله المؤمنين ممن لا ذوا بحماه واعتصموا بحبله قال تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وَكُنْ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ⁽⁶⁰⁾. وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ، وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ⁽⁶¹⁾.

يقول الشيخ أحمد سحنون في هذا المعنى: «لأن الإيمان نور يكتسح كل ظلام، ولأن الشيطان لص لا يسرق إلا في الظلام، لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾» ⁽⁶²⁾.

وليس معنى هذا أن الشيطان لا يتعرض للصالحين من عباد الله، ولكنهم لا ينخدعون له، ولا يبيعون طاعة الله بطاعته، بل لعلهم معرضون لحرب الشيطان أكثر من غيرهم، ولكنهم يكافحون

⁽⁵⁷⁾ الإسراء: الآية 62.

⁽⁵⁸⁾ الكشف 366/2.

⁽⁵⁹⁾ الشيخ أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، ص: 212-213.

⁽⁶⁰⁾ الإسراء: الآية 65.

⁽⁶¹⁾ النحل: الآيتان 99-100.

⁽⁶²⁾ الزحرف: الآية 36.

أكثر من غيرهم لأنهم تغلبوا على جميع أهوائهم فكيف لا يتغلبون على جميع أعدائهم قال تعالى: ﴿أَنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾⁽⁶³⁾ «⁽⁶⁴⁾.

وفي القرآن والسنة ما يعين المؤمن على النجاة من كيد الشيطان ونزغ. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁶⁵⁾ جاء في تفسير الجلالين⁽⁶⁶⁾ أي: «يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف فاستعذ بالله يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁶⁷⁾ بالفعل».

1- قراءة "الإخلاص" و"المعوذتين"، فإن لتلك القراءة تأثير عجيب في الاستعاذة بالله من شر الشيطان فعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما "قل هو الله أحد" و"قل أعوذ برب الفلق" و"قل أعوذ برب الناس" ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بها على رأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات⁽⁶⁸⁾.

2- قراءة "سورة البقرة"، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان"⁽⁶⁹⁾.

والقرآن كله حصن حصين من الشيطان الرجيم، من قرأه والتزم بأحكامه لم يقرب الشيطان ساحته.

⁽⁶³⁾ الأعراف: الآية 201.

⁽⁶⁴⁾ المرجع نفسه ص: 213-214.

⁽⁶⁵⁾ فصلت: الآية 35.

⁽⁶⁶⁾ المحلى وهو جلال الدين محمد فقيه شافعي ولد بالقاهرة بالمحلة الكبرى إحدى مدن القاهرة له مؤلفات عديدة منها جمع الجوامع في الأصول وتفسير القرآن الذي أكمله جلال الدين السيوطي فعرف الكتاب بتفسير الجلالين مات سنة 864هـ السيوطي طبقات الحفاظ ص: 435.

⁽⁶⁷⁾ السيوطي وهو جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي أحد الأئمة الحفاظ والمشاركين في فنون شتى كالتفسير والأدب من مؤلفاته لباب النقول في أسباب النزول، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، مات سنة 911هـ، البغدادى هدية العارفين 534/1. نوهيى عادل معجم المفسرين 264/1.

⁽⁶⁸⁾ تفسير الجلالين، ص: 513.

⁽⁶⁹⁾ رواه البخاري كتاب فضائل القرآن رقم 4630. والترمذي الدعوات رقم 3324، وأبو داود في الأدب رقم 4397.

⁽⁶⁹⁾ رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن رقم 2802.

وفي السنة ما يرشد المؤمن إلى التحفظ من وساوس الشيطان. فعن عدي ابن ثابت عن سلمان ابن صُرد قال: "كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم -ورجلان يستبان فأحدهما إحمراً وجهه، وانتفخت أوداجه فقال النبي صلى الله عليه وسلم-: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: تعوذ بالله من الشيطان فقال: وهل بي جنون؟" (70).

3- قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل ما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك" (71).

4- ومن أنفع ما يحترز به الإنسان من الشيطان ذكر الله كثيرا وتسبيحه بكرة وأصيلا، والوضوء، والصلاة قال تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله، وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ (72) فليحرص المؤمن على ذكر الله والصلاة ليقهر الشيطان وأولياءه وليمسك عن فضول الكلام والطعام والنظر فالشيطان ينال مرغوبه من الإنسان عن طريق هذه الأبواب هذا ما يستعان به على شيطان الجن.

أما شيطان الإنس فإنه يتجنب إذا عرف منه سوء صحبتته. يقول الأستاذ عبد المنعم مغربي: "أمل شيطان الإنس وهو رفيق السوء فسهل على المرء أن يتجنبه إذا عرف منه سوء الصحبة فالأمر أمر يقظة وحسن تقدير فمن راعى جانب الله استطاع أن يتحفظ، ومن غفل عن جانب الله زلت قدمه وساءت عاقبته ولن ينفعه صاحب ولا ولد ولا مال ولا ندم" (73). فاصبر أيها المؤمن على أذى الرفيق السيء وادفع بالتي هي أحسن السيئة، قال تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة، نحن أعلم

(70) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق رقم 3040 واللفظ له، وأبو داود في كتاب الأدب رقم 4190.

(71) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق رقم 3050، وكتاب الدعوات رقم 5924. ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم 4857. والترمذي في كتاب الدعوات رقم 3390. وأحمد باقي مسند المكثرين رقم 7666. ومالك كتاب التذلل للصلاة رقم 437.

(72) المائدة: الآيات 92-93.

(73) الأستاذ عبد المنعم مغربي، منير الإسلام، ص: 185 عدد 5 سنة 1973.

بما يصفون» ⁽⁷⁴⁾. وقال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة، ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ ⁽⁷⁵⁾.

رابعاً : التقليد الأعمى .

التقليد الأعمى سبب يضاف إلى الأسباب السابقة المتسببة في الوقوع في المعاصي، فالمقلد شخص عطل ما وهبه الله من قدرات عقلية تجعله إن وجهها الوجهة الحسنة- يهتدي إلى الحق، ويميز الخير من الشر، وذلك ما فطر الله عليه الإنسان من عقل يؤهله لإدراك ما يلقي إليه. فالعقل نعمة كبرى، وذلك ما بينه القرآن الكريم. يقول عبد الفتاح طبارة: « والقرآن بين أن العقل نعمة كبرى، وأنه لا بد من استخدامه، واللجوء إلى حكمه فيقول تعالى في تذييل كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ قد بينا لكم الآيات أن كنتم تعقلون ﴾ ⁽⁷⁶⁾ وقوله تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب لم تحتاجون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾ ⁽⁷⁷⁾.

ثم نرى القرآن يعيب على الذين يهملون استعمال العقل بأسلوب مؤثر يفغل في قارئه ما لا تفعله أقسى الزواجر قال تعالى: ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ ⁽⁷⁸⁾. ويقول تعالى: ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون، أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ ⁽⁷⁹⁾. وقد جعل الله إهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة فقال عن الكفار: ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ ⁽⁸⁰⁾ « ⁽⁸¹⁾، كما شدد القرآن النكير على من تمسكوا بالرأي لا لأنهم عقلوه بل

⁽⁷⁴⁾ المؤمنون: الآية 67.

⁽⁷⁵⁾ فصلت: الآيات 33-34.

⁽⁷⁶⁾ آل عمران: الآية 118.

⁽⁷⁷⁾ آل عمران: الآية 64.

⁽⁷⁸⁾ الأنفال: الآية 22.

⁽⁷⁹⁾ الفرقان: الآية 44.

⁽⁸⁰⁾ الملك: الآية 10.

⁽⁸¹⁾ عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ص: 273.

لأن آباءهم فعلوا قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ، وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا، وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (82) وينفر الله من التقليد بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ، وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعَقُ﴾ (83) بما لا يسمع إلا دعاء (84)، ونداء (85) صم بكم عمي فهم لا يعقلون (86).

وقد برر المقلدون أعمالهم وإن كانت مما يغضب الله - أن آباءهم كانوا قد فعلوها، وقد ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ (87).

يقول الشيخ محمود شلتوت: "الجمود على آراء المتقدمين وحظهم في العلم، والمعرفة، وأسلوبهم في البحث، والنظر جنابة على الفطرة البشرية، وسلب لمزية العقل التي امتاز بها الإنسان، وإهدار لحجة الله على عباده، وتمسك بما لا وزن له عند الله" (88).

ولذلك استحق التابع ما يستحقه المتبوع من العقاب، فالكافر المعاند، والكافر الجاهل المقلد سيان في العذاب ذلك ما ذهب إليه ابن القيم الجوزية (89) واستدل عليه بما ورد في القرآن الكريم في غير موضع بعذاب المقلدين لأسلافهم من الكفار، وأن الأتباع مع شيوخهم، وأنهم يحتاجون في النار، وأن الأتباع يقولون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتَمِّمْ عَذَابًا ضَعُفًا مِنَ النَّارِ، قَالَ لِكُلِّ

(82) المائدة: الآية 104.

(83) يصيح والناحق الصائح. القرطبي 215/2.

(84) الدعاء: النداء للبعيد. =

(85) النداء: الدعاء للقريب، =

(86) البقرة: الآيات 170-171.

(87) الأعراف: الآية 28.

(88) الشيخ محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص: 143.

(89) هو محمد ابن أبي بكر ابن سعد بن جرير الزرعي نسبة إلى بلدة أزرع كان والده قيما على الجوزية - مدرسة بدمشق - نسب إليها.

من مؤلفاته بدائع الفوائد، التحفة المكية، إعلام الموقعين، مات سنة 751هـ.

الزركلي الأعلام 56/6.

ضعف ولكن لا تعلمون ﴿⁽⁹⁰⁾﴾. وقال: ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا أنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كلٌّ فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾ ⁽⁹¹⁾. وقال تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كتمم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾ ⁽⁹²⁾.

فهذا إخبار من الله، وتحذير بأن المتبوعين، والتابعين إشتروا في العذاب ولم يغن عنهم تقليدهم شيئاً وأصرح من هذا قوله تعالى: ﴿إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين أتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا﴾ ⁽⁹³⁾. وهذا يدل على أن كفر من اتبعهم إنما هو بمجرد اتباعهم وتقليدهم.

وقد استفحل أمر التقليد، واتسعت دائرته فكثر عدد المقلدين من المسلمين لمن لا يدينون بدين الله، ولا يلتزمون بشرعه، وذلك بحجة التقدم، والعصرنة ظناً منهم خاب ظنهم - أن الإسلام رجعية وجمود، ودعوة إلى ما كان عليه الأباء، والأجداد، وهو ظلم، وضلال من القائلين به، وعليهم التوبة فوراً، والاعتصام بدين الله، دين الأولين، والآخرين الذي لا يصلح حال البشرية إلا به قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي

⁽⁹⁰⁾ الأعراف: الآية 38.

⁽⁹¹⁾ غافر: الآيات 47-48.

⁽⁹²⁾ سبأ: الآيات 31-33.

⁽⁹³⁾ البقرة: الآيات 166-167.

القوم الظالمين ﴿٩٤﴾. وقال: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ (٩٥)

وما يدحض دعوى هؤلاء أن المسلمين قد نشأوا في العصر الأول في ظل ما قرر الإسلام، ودعا إليه القرآن، ونتيجة ذلك كما يقول الشيخ محمد شلتوت: "ففكروا وبحثوا وتعقلوا وطلبوا البرهان وأنكروا التقليد فسادوا وسادت بهم الأمم . ثم لأمر ما انقلبوا على رؤوسهم ... وتولدت في أدمغتهم حمية التقليد فجهلوا أنفسهم، وجهلوا الكون، وجهلوا الحياة، وتفرقوا في دين الله، وكانوا شيعة، فأبطلوا حجة الله على خلقه، وصاروا حجة على دينه وشرعه . زعموا أن لأبائهم عصمة تمنعهم من النظر في أقوالهم، وبذلك لبس الدين فيما بينهم أثوابا مختلفة الألوان، وراجت عند الجميع البدع، والخرافات، وعقدت على دين الله غبارا كثيفا، فنفر الناس منه، وأعرضوا عنه، واتهموه بالاضطراب بين حلال وحرام، وصحيح وفاسد، وقوي وضعيف" (٩٦).

خامسا: اتباع الهوى.

اتباع الهوى - كذلك - سبب من أسباب الوقوع في المعاصي بل هو الأصل لما سبق من الأسباب والمتخذ إلهًا من دون الله وذلك هو الضلال الذي ما بعده ضلال.

قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه، وقلبه، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾ (٩٧) وقال: ﴿أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ (٩٨) وقد قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : الهوى إله يعبد من دون الله ثم تلا هذه الآية. وقال هشام بن عبد الملك بن مروان: إذا أنت لم تعص الهوى قaddock الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال.

(٩٤) الصف: الآية ٥٧.

(٩٥) النكبت: الآية ٦٨.

(٩٦) عمود شلتوت من توجيهات الإسلام، ص: ١٤٤.

(٩٧) الجاثية: الآية ٢٣.

(٩٨) الفرقان: الآية ٤٣.

ومعاصي البشرية الظاهرة، والباطنة يسببها اتباع الهوى. يقول سعيد حوى: « إذا تأملت
أمراض الحياة البشرية كلها: الكبر، والعجب، والحسد، وحب الحياة، والدنيا، والزنا، والفواحش،
والغيبة، والنميمة، وكل ما يخطر على بالك من أمراض فإنك تجد وراءها شيئاً واحداً هو اتباع الهوى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

... و لخطورة اتباع الهوى قال تعالى: ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ﴾⁽⁹⁹⁾ «⁽¹⁰⁰⁾. كما حذر منه الأنبياء فقال: ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى، فيضلك عن سبيل الله ﴾⁽¹⁰¹⁾.

والهوى هو ميل النفس، وانحرافها نحو الشيء يقول الدكتور عزت علي عطية: "والهوى يطلق على ميل النفس، وانحرافها نحو الشيء ثم استعمل في الميل المذموم، والانحراف السيء فيقال: اتبع هواه وهو من أهل الأهواء. وإنما وقع الذم على أهل الأهواء لأنهم لم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتى يصدروا عنها ... بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ... ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظور فيها وراء ذلك قال بعض الفلاسفة "الهوى ما تتبعه النفس غيا كان أم رشدا حسنا كان أم قبيحا ولذلك ذمه الله " ⁽¹⁰²⁾.

إن اتباع الهوى هو السبب في عدم استجابة الكفار لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾⁽¹⁰³⁾.

ومتبع الهوى ضال، ومضلٌ لغيره قال تعالى: ﴿ وإن كثيرا ليضلون بأهواءهم بغير علم أن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾⁽¹⁰⁴⁾.

ما أكثر المعاصي المقترفة بسبب اتباع الهوى، من حب الظهور، والإعراض عن الحق في مواطن قد ثبت فيها بالدليل الواضح من كتاب الله وسنة رسوله، ولا شفاء من هذا المرض إلا باتباع هدي

⁽⁹⁹⁾ المؤمنون: الآية 17.

⁽¹⁰⁰⁾ سعيد حوى، المستخلص في تركة الأنفس، ص: 259.

⁽¹⁰¹⁾ ص: الآية 25.

⁽¹⁰²⁾ الدكتور عزت علي عطية، البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، ص: 239.

⁽¹⁰³⁾ القصص: الآية: 50.

⁽¹⁰⁴⁾ الأنعام: الآية 119.

القرآن الذي زكى النفس، وجعلها منقاداً للعقل يقول الماوردي ⁽¹⁰⁵⁾ في أدب الدنيا والدين: « فإذا انقادت النفس للعقل بما قد أشعرت من عواقب الهوى لم يلبث الهوى أن يصير بالعقل مدحوراً، وبالنفس مقهوراً. ثم له الحظ الأوفى في ثواب الخالق، وثناء المخلوقين قال الله تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ ⁽¹⁰⁶⁾ » ⁽¹⁰⁷⁾، فكل تأخير في ضبط الهوى، وكبح جماح النفس يعد معصية كبرى تبعد الإنسان عن ربه فيطغى، ويؤثر الحياة الدنيا، و يأوي بعد ذلك إلى الجحيم قال تعالى: ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ﴾ ⁽¹⁰⁸⁾.

⁽¹⁰⁵⁾ أبو الحسن الماوردي هو علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي أبو الحسن ولد سنة 370هـ بالبصرة وتفقّه بها وقد لقب بقاضي القضاة وهو منصب أكبر القضاة الذي يولي ويعزل من يشاء من القضاة، قال عنه الذهبي كان إماماً في الفقه والأصول والتفسير من أشهر مؤلفاته: أدب الدنيا والدين الأحكام السلطانية والخواوي والإقناع، توفي سنة 450هـ.

العبر للذهبي 297، 296/22. الشذرات 285/3. البداية والنهاية 80/12. الكامل لابن الأثير 87/8.

⁽¹⁰⁶⁾ النازعات: الآيتان 40-41.

⁽¹⁰⁷⁾ أبو الحسن الماوردي أدب الدنيا والدين، ص 27.

⁽¹⁰⁸⁾ النازعات: الآيات 37-38-39.

المبحث الثالث

أقسام المعاصي .

ويضم ما يلي:

المطلب الأول: أقسامها باعتبار الحقوق .

وفيه:

أولاً: المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العبد وربه .

ثانياً: المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العباد .

المطلب الثاني: أقسامها باعتبار الجوارح .

وفيه:

أولاً: معاصي القلب .

ثانياً: معاصي اللسان .

ثالثاً: معاصي الجوارح .

المطلب الثالث: أقسامها باعتبار الإثم .

أولاً: الكبائر .

ثانياً: الصغائر .

المطلب الرابع: أقسامها باعتبار صفة العبد .

أولاً: الصفات الربوبية (الكبير، الفخر، حب المدح، حب دوام البقاء) .

ثانياً: الصفات الشيطانية (الحسد، الخداع، الأمر بالمنكر والفساد) .

قد تتفاوت المعاصي في النوع، والمصدر. غير أن التائب الحق هو من تجنبها جميعا باختلاف نوعها، ومصدرها.

المطلب الأول: أقسامها باعتبار الحقوق.

تنقسم المعاصي بهذا الاعتبار إلى:

أولاً: المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العبد، وربّه كثيرة منها:

أ- الشرك، وهو أكبر المعاصي.

ب- ترك الطاعات المأمور بها، كالصلاة، والزكاة، والحج، وما دون ذلك مما ذكره الغزالي⁽¹⁾ فقال: "كالنظر إلى غير محرم، وعود في المسجد مع الجنابة، ومس مصحف بغير وضوء، واعتقاد بدعة، وشرب خمر، وسماع ملاءه، وغير ذلك ما لا يتعلق بمظالم العباد"⁽²⁾.

ثانياً: المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العباد.

وفيها أيضاً معصية في حق الله تعالى فإن الله نهي عن ظلم العباد، وتكون إما في النفوس، والأموال، أو الأعراس، أو القلوب.

المطلب الثاني: أقسامها باعتبار الجوارح.

وتتوزع هذه المعاصي على الجوارح على الشكل الآتي:

أولاً: معاصي القلوب.

وهي أخطر المعاصي لكونها تصيب القلب، وهو العضو الذي يصلح بصلاحه الجسد، ويصبح العبد خيراً طائعاً لربه، وبفساده يفسد، ويصبح العبد شراً عاصياً لربه فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله،

⁽¹⁾ أبو حامد الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي الفقيه الأصولي، أحد تلامذة الإمام الجويني، من تصانيفه: المنحول، والمستصفي، والوجيز في الفقه، وإحياء علوم الدين. توفي سنة 505 هـ.

اللياب في تهذيب الأنساب لابن الأثير 379/2، والمنتظم لابن الجوزي 144/17.

⁽²⁾ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 35/4.

وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" ⁽³⁾. وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ ⁽⁴⁾.

ومعاصي القلوب كثيرة تقتصر على ذكر البعض منها على النحو الآتي:

أ- الشرك:

وهو أخطر كبائر الإثم التي لا يغفرها الله قال تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ ⁽⁵⁾.

وعاقبة الشرك وخيمة: إنها الحيرة، والاضطراب قال تعالى: ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ ⁽⁶⁾.

فعن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ⁽⁷⁾: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور" ⁽⁸⁾.

والشرك هو مصدر كل الشرور التي أصابت البشرية في تاريخها الطويل، يقول الأستاذ عفيف عبد الفتاح طيارة: "ثم إن الشرك بالله كان مصدر شر على البشرية في تاريخها الطويل فهو الذي كبل عقول الناس بالخرافات، والأساطير، وحال دون رقيهم، وجلب لهم الخصام، والصراع، والاقتتال، وأدى ذلك إلى نشوء طبقات من رجال الدين استغلت الشعوب في سبيل إثرائها، والعيش الرغيد على حسابها" ⁽⁹⁾.

⁽³⁾ البخاري كتاب الإيمان رقم 50 واللفظ له. ومسلم كتاب المساقاة رقم 2996. ابن ماجه كتاب الفتن 3974. وأحمد مسند الكوفيين 17649..

والدارمي البيوع رقم 2419.

⁽⁴⁾ البقرة: الآية 9.

⁽⁵⁾ النساء: الآية 47.

⁽⁶⁾ الحج: الآية 31.

⁽⁷⁾ أي ردها ثلاثا.

⁽⁸⁾ مسلم كتاب الإيمان رقم 126 واللفظ له، البخاري كتاب الشهادات رقم 2460، وأحمد مسند البصريين رقم 19491.

⁽⁹⁾ الخطايا في نظر الإسلام، ص: 38-39.

وقد نفى الإسلام الشريك عن الله، وهذا ما صرح به القرآن في كثير من الآيات قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁽¹⁰⁾ وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾⁽¹¹⁾.

وقد اعتبر الإسلام الشرك ظلماً عظيماً قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹²⁾.

وأي ظلم أعظم من أن يجعل المخلوق للخالق ندا، وهو يرى أن الله - في كل شيء - آية تسدل على أنه الخالق، الواحد الأحد، الفرد، الصمد.

ب: نسيان الله.

وهو من كبائر الإثم، وقد وصف القرآن الناسين لذكر الله بالفاسقين فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽¹³⁾.

ومن أسباب نسيان العبد لربه تعلقه بالدنيا، وجعلها أكبر همه، ومبلغ علمه وبذلك يسخر كل جهده لنيل حطامها، وقد حذرنا الله من الانغماس في الملذات المؤدية إلى نسيانه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽¹⁴⁾.

كما أمر بالإعراض على من جعل الدنيا همه الأوحى فقال: ﴿فَاعْرِضْ عَمَّنْ تُوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا، وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾⁽¹⁵⁾ ومن ذكر الله ذكره قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾⁽¹⁶⁾ وذكره طمأنينة

⁽¹⁰⁾ صورة الإخلاص.

⁽¹¹⁾ الفرقان: الآية 2.

⁽¹²⁾ لقمان: الآية 12.

⁽¹³⁾ الحشر: الآية 19.

⁽¹⁴⁾ المنافقون: الآية 9.

⁽¹⁵⁾ النجم: الآية 29.

⁽¹⁶⁾ البقرة: الآية 151.

للقلب وسكينة للنفس قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (17).

إِنَّ مَنْ حُرِّمَ ذِكْرُ رَبِّهِ قَدْ حُرِّمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وعاش حياة الشقاء، والخسران قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا، ونَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (18).

ج- الرياء .

وهو ما يقوم به العبد من عمل لا يريد به وجه الله، وإذا اقترن بالعبادة فهو الشرك الأصغر: إذ غرض العبد من وراء ذلك إِطْلَاعُ النَّاسِ لِيَحْصَلَ لَهُ مِنْهُمْ غَرَضٌ دُنْيَوِي كَمَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ ثَنَاءٍ.

وقد ذم الله الرياء بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ

الْمَاعُونَ﴾ (19).

إن عبادة مثل هؤلاء باطلة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (20)، وقد تخوَّف الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أمته من الرياء في العمل فعن شداد بن أوس قال: قال رسول -صلى الله عليه وسلم- : "أتخوف على أمتي الشرك، والشهوة الخفية قيل له يا رسول الله: أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: نعم أما إنهم لا يعبدون شمسًا، ولا قمرًا، ولا حجرًا، ولا وثنا ولكن يُرَاءُونَ بأعمالهم، والشهوة الخفية أن يصبح أحدكم صائمًا فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه" (21). والمرائي قد تولى الله فضحه، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول -صلى الله عليه وسلم-

(17) الرعد: الآية 29.

(18) طه: الآيات 122-123-124.

(19) الماعون: الآيات 4-5-6.

(20) الكهف: الآية 110.

(21) مسند أحمد كتاب مسند الشاميين رقم 16498.

وسلم - : "من سَمِعَ سَمِعَ الله به، ومن رأى رأى الله به"⁽²²⁾. فلا تضيع جهد أعمالك أيها المؤمن بالرياء بل اخلص النية لله الذي يجزي عن الأعمال الجزاء الأوفى وليكن قصدك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾⁽²³⁾.

ثانيا : معاصي اللسان.

وهي ما يصدر عن اللسان من مخالفة الحق، وقول الصدق كالكذب، والغيبة، والنميمة، وغيرها..

أ-الكذب:

وهو أخطر آفات اللسان، من اتصف به لم يكن من المتقين قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾⁽²⁴⁾. والكذب من كبائر الإثم التي يستحق صاحبها اللعنة قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نَبْهَلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾⁽²⁵⁾.

وقد أوصانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم -بالصدق، وحذرنا من الكذب فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما- قال: قال رسول -صلى الله عليه وسلم -: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وأن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"⁽²⁶⁾، والكذب آثاره سيئة يقول عفيف عبد الفتاح طيارة: "فالكذب يولد البغضاء بين الناس، ويؤدي إلى فقدان الثقة بينهم، ويجعلهم متباعدين لا يُقام فيهم تعاون، ولا تسري بينهم ألفة"⁽²⁷⁾.

(22) رواه مسلم كتاب الزهد والرفائق رقم 5301 واللفظ له، وأحمد مسند البصريين رقم 19557. البخاري كتاب الرقاق رقم 6018 بلفظ "ومن يراني يراني الله به".

(23) الإنسان: الآية 9.

(24) التوبة: الآية 120.

(25) آل عمران: الآية 61.

(26) البخاري كتاب الأدب رقم 3629 واللفظ له. مسلم كتاب البر والصلة والآداب رقم 4719. الترمذي كتاب البر والصلة رقم 1894. أبو داود

كتاب الأدب رقم 4337. ابن ماجه المقدمة رقم 45. أحمد مسند المكثرين من الصحابة رقم 3456. الدارمي الرقاق رقم 2599.

(27) عفيف عبد الفتاح طيارة: الخطايا في نظر الإسلام، ص: 129.

والأسرة والمدرسة لهما الدور الأكبر في القضاء على هذه الآفة، إن انتهجا منهج القرآن الكريم في التربية الإسلامية الذي دعا إلى إشاعة أخلاق الصدق.

والتهاون في هذا الجانب يعني التعجيل بالخطايا، وتدهور أوضاعها في كل الميادين، والواقع المعيشي خير شاهد على ذلك.

ب: الغيبة.

وهي من الصفات المذمومة التي نهى الله عنها وشبه المتصف بها بأكل لحم أخيه قال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (28).

وقد بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- حقيقة الغيبة -بطريقته التربوية بطرح السؤال على أصحابه- فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إذا كان في أخي ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته" (29) أي قلت فيه كذباً أو بهتاناً وما يعكر صفو الود، والإخاء بين المؤمنين إلا ما يشيع بينهم من كلام يتتبعون فيه عورات بعضهم بقصد الإيذاء والامتهان والكيد والاحتيال.

والإنسان مطالب بالاشتغال بعيب نفسه، والكف عن ذكر عورات غيره يقول الشافعي -رحمه الله- "لسانك لا تذكر به عورة امرئ... فكلك عورات وللناس ألسن".

فما أجمل الكلمة الطيبة، والذكر الحسن! فهما البلسمان الشافيان لأمراض القلوب المؤذية لصاحبها قبل غيره. أما من تعود على الجهر بالسوء، والدخول في مواطن الريب فلا يحرم ذكر حاله إذا كان القصد التحذير من أعماله وسلوكاته.

(28) الحجرات: الآية 12.

(29) رواه مسلم كتاب البر والصلة، رقم 4690 واللفظ له. والترمذي كتاب البر والصلة رقم 1857. وأبو داود كتاب الأدب رقم 4231. وأحمد باق مسند المكثرين رقم 8625. والدرامي كتاب الرقاق رقم 2598.

وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم، وإفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه (30).

وهذا سلوك قبيح توعد الله صاحبه بالويل، والهلاك فقال: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ (31) وقد وصف القرآن امرأة أبي لهب بأنها: ﴿حماله الخطب﴾ (32) أي: "أي السعي بالنميمة إطفاءً لدعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . والعرب تقول لمن يسعى في الفتنة ويفسد بين الناس هو يحمل الخطب بينهم كأنه بعمله يحرق ما بينهم من صلوات " (33).

وقد حذر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من النميمة وجعلها سبباً لعدم دخول الجنة فعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يدخل الجنة غمام" (34). وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً

(30) الخطايا في نظر الإسلام، ص: 131.

(31) الهمزة: الآية 01.

(32) المسد: الآية 04.

(33) تفسير المراغي، 30/262-263.

(34) رواه مسلم كتاب الإيمان رقم 151. واللفظ له، والترمذي كتاب البر والعلة رقم 1949، وأحمد باقى مسند الأنصار رقم 22221.

يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون " (35).

وللقضاء على النسيمة، والنمامين يطلب التثبت والتحقق لمعرفة نية نقل الخبر إلى الغير فإن كان الحاجة في نفس ناقله لم يسمع له وبذلك يفتضح أمره أمام الجميع، ويعيش حياة الذل، والهوان ويكون بذلك قد خسر الدنيا، والآخرة ذلك هو الحسران المبين .

ثالثاً: معاصي الجوارح.

أ- القتل :

ويعتبر القتل العمد من أخطر معاصي الجوارح، ومرتكب هذه الجريمة مع سبق الإصرار والترصد- قد أقدم على فعل توعد الله صاحبه بأشد العقوبات قال تعالى: ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ (36).

إن الاعتداء على النفس الإنسانية بغير حق من كبائر الإثم التي يستحق فاعلها الخلود في العذاب يوم القيامة قال تعالى: ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾ (37). والقتل من أول الجرائم التي يحاسب الله الناس عليها يوم القيامة فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: " أول ما يقضى بين العباد في الدماء " (38). وحُكِّم الإسلام بقتل القاتل عمداً يدل على تكريم الله للنفس الإنسانية، وفي ذلك عبرة لكل من تسوّل له نفسه بقتل غيره يقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه

(35) رواه الترمذي كتاب البر والصلة، رقم 1941.

(36) النساء: الآية 92.

(37) الفرقان: الآية 68.

(38) سنن الترمذي، كتاب الديات، رقم 1317، وأحمد مسند المكرمين من الصحابة، رقم 3983. واللفظ له.

شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴿⁽³⁹⁾﴾.

إنه تشريع العليم الخبير الذي خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، فجعل قتل القاتل حيلة للآخرين حين قال: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ فهل يرقى إلى هذا الحكم قانون أو تشريع؟ إنه الموت البطيء لمن تباطأ في تطبيق حكم الله .

ب- السرقة.

ب- السرقة: اعتداء على أموال الغير المحفوظة وأخذها عن طريق التستر والتخفي، وهو عمل شنيع، لا يقره الإسلام، ولذلك عاجله بترية وتهذيب نفسية الإنسان بأن لا يطمع في مقتنيات الغير، بل ووجهه إلى العمل المشروع .

وقد ضمن الإسلام للعاجز عن الكسب، والفقير معونة تؤخذ من الأغنياء عن طريق الحاكم ويتجسد ذلك في الزكاة المشروعة قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ ⁽⁴⁰⁾ وقال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ ⁽⁴¹⁾ .

ومن اعتدى بعد هذه الضمانات فقد استحق عقوبة السرقة التي حددها الله في قوله: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾ ⁽⁴²⁾ .

ولا يمكن القضاء على آفة السرقة إلا بتطبيق حكم الله في ذلك، وما انتشارها، واستفحال أمرها إلا بسبب تعطيل قطع يد السارق فالحدود من شأنها الردع، والتخويف، أما إن ترك سبيل السارق فإنه سيعيد الكرة، وتتكون بعد ذلك عصابات الأشرار والمفسدين لتقضى مضاجع الآمنين وتروع أمن

⁽³⁹⁾ البقرة: الآيتان 178-179.

⁽⁴⁰⁾ التوبة: الآية 104.

⁽⁴¹⁾ التوبة: الآية 60.

⁽⁴²⁾ المائدة: الآية 38.

المواطنين، وكفى بهذا العقاب منها لمن يعطل حد السرقة و يستعيز عنه بما تواضع عليه المجتمع من قوانين ثبت فشلها في القضاء على هذه الآفة.

المطلب الثالث: أقسامها باعتبار الإثم .

تنقسم المعاصي باعتبار الإثم إلى كبائر وصغائر، لقوله تعالى: ﴿ إِن يَجْتَبِواْ كِبَايْرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَنَدْخِلْكُمْ مَّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾⁽⁴³⁾، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَايْرَ الْإِثْمِ، وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾⁽⁴⁴⁾.

وقد استنتج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور⁽⁴⁵⁾ من الآيتين السابقتين أن المنهيات قسمان: كبائر، وصغائر فقال: "وقد دلت إضافة كبائر إلى ما تنهون عنه على أن المنهيات قسمان: كبائر ودوئها، وهي التي تسمى الصغائر، وصفا بطريق المقابلة، وقد سميت هنا سيئات، وقد وعد بأن يغفر السيئات للذين يجتنبون كبائر المنهيات. وقال في آية النجم: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَايْرَ الْإِثْمِ، وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ، إِنْ رُبِكَ وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴾⁽⁴⁶⁾ فسمى الكبائر فواحش، وسمى مقابلها اللمم، فثبت بذلك أن المعاصي عند الله قسمان: معاصي كبيرة فاحشة، ومعاصي دون ذلك يكثر أن يلزم المؤمن بها"⁽⁴⁷⁾.

أولاً: الكبائر.

"وأحسن ضبط للكبيرة قول إمام الحرمين "هي كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بللدين، وبضعف ديانتها"⁽⁴⁸⁾ وللعلماء -في تعريف الكبيرة- أقوال متعددة جمعها عفيف عبد الفتاح طيارة

⁽⁴³⁾ النساء: الآية 31.

⁽⁴⁴⁾ النجم: الآية 31.

⁽⁴⁵⁾ هو محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة ورئيس هيئة الإفتاء -المذهب المالكي- من أشهر مؤلفاته التحرير والتنوير، في التفسير مات سنة 1393هـ-1973م. نوهي عادل معجم المفسرين 541/2.

⁽⁴⁶⁾ النجم: الآية 31.

⁽⁴⁷⁾ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 26/3، وانظر: القرطبي 158/5 ومدارج السالكين 315/1....332.

⁽⁴⁸⁾ التحرير والتنوير 127/27.

فقال: "كل ما هـى الله عنه، أو ما نص القرآن على تحريمه، أو ما وجب فيه حد، أو ما ورد فيه تـوعـد بالعذاب بالنار يوم القيامة، أو الغضب من الله، أو ما وجب فيه لعنة، أو ورد فيه وعيد شديد، أو وُصِفَ فاعله بالفسق" ⁽⁴⁹⁾. وهى تعريفات تدل على أن الكبيرة فعل شنيع لا يليق بالمؤمن أن يقتـرفه لما يترتب عليه من لعن، وتـوعـد بالعذاب يوم القيامة. وقد اختلف السلف في تعيين الكبائر، وذلك لكثرة الأحاديث الصحيحة في ذكرها، ومجموعها يزيد على السبعة ⁽⁵⁰⁾. ومن هذه الكبائر: الشرك بالله، قتل النفس بغير حق، منع الزكاة، شهادة الزور، التعامل بالربا، ترك الصلاة، أكل مال اليتيم، وظلمه.

ثانيا: الصغائر.

وتسمى اللـم، أو محقرات الذنوب، أو السيئات، واللم في اللغة: مقارنة الشيء من غير فعله، جاء في متن اللغة: "اللم الجنون أو طرف منه يلم بالإنسان ويعتريه، أو صغار الذنوب دون الفاحشة كالنظرة من غير عمد، ومقارنة المعصية من غير إيقاعها، أو الإمام بها من غير إصرار عليها، أو الإمام بالنساء، وشدة الحرص عليهن" ⁽⁵¹⁾ تلك بعض معاني اللـم في اللغة.

أما في الاصطلاح فله معان متعددة ذكرها بعض المفسرين فقال القرطبي: "هى الصغائر التى لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه، وقد اختلف في معناها، فقال أبو هريرة، وابن عباس، والشـعبي: اللـم كل ما دون الزنى... وقال ابن مسعود وأبو سعيد الخدرى، وحذيفة، ومسروق أن اللـم ما دون الوطء من القبلة، والغمزة، أو النظرة، والمضاجعة... وفي صحيح البخارى ومسلم عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللم مما قاله أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر، وزنى اللسان المنطق والنفس تمنى، وتشتهى، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه" ⁽⁵²⁾ ... وقال ابن عباس: هو

(49) عفيف عبد الفتاح طيارة، الخطايا في نظر الإسلام ص: 12.

(50) انظر: الإحياء 17/4... 22.

التحرير والتنوير 27/3.

والزواج عن اقتراف الكبائر لأبي العباس أحمد بن محمد بت علي بن حجر المكي الهيثمي جـ2.

شمس الدين الذهبي كتاب الكبائر.

(51) أحمد رضا متن اللغة 212/5.

(52) رواه البخارى كتاب الاستئذان رقم 5774. واللفظ له. ومسلم كتاب القدر رقم 4801. وأبو داود كتاب النكاح رقم 1840. وأحمد باقى مسند

المكثرين رقم 7394.

الرجل يلم بالذنب ثم يتوب قال ألم تسمع النبي صلى الله عليه وسلم- كان يقول: "إن يغفر الله يغفر جمًّا وأيّ عبد لك لا ألما" (53) وقال الكلبي اللّم على وجهين: كل ذنب لم يذكر الله عليه حلا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة وذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الفواحش والكبائر، والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به الإنسان المرة بعد المرة فيتوب منه (54).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: "اللّم مقارنة الكبيرة، أو الفاحشة بإتيان بعض مقدماتها مع اجتناب اقترافها من أَلَمَتِ النحلة إذا قاربت الإرتطاب، وأَلَمَ الغلام إذا قارب البلوغ" (55).

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "اللّم ضرب من المعاصي المحذر منها في الدين قد يظن الناس أن النهي عنها يلحقها بكبائر الإثم فلذلك حق الاستدراك، وفائدة هذا الاستدراك عامة وخاصة: أما العامة فللّكي لا يعامل المسلمون مرتكب شيء منها معاملة من يرتكب الكبائر، وأما الخاصة فرحمة بالمسلمين الذين قد يرتكبونها فلا يُقْلُ ارتكابها من نشاط طاعة المسلم ولينصرف اهتمامه إلى تجنب الكبائر فهذا الاستدراك بشارة لهم" (56).

تلك هي أقوال المفسرين في معنى اللّم وكلها مجمعة على أن اللّم هو ما دون الكبائر من الذنوب، فإن أَلَمَ المؤمن بشيء من ذلك فعليه أن يعود إلى ربه، ويرجع إليه، ولا يحتقر اللّم فإن الصغائر إذا كثرت وأصر العبد على فعلها تصبح كبائر، وتهلك صاحبها. فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه" (57).

(53) لم أجد له ترجيحاً.

(54) القرطبي 107/17-108.

(55) رشيد رضا، تفسير المنار 48/5.

(56) محمد الطاهر بن عاشور، تحرير التنوير 121/27-122.

(57) أحمد كتاب مسند المكرمين من الصحابة رقم 3627.

المطلب الرابع: أقسامها باعتبار صفات العبد.

وتنقسم المعاصي بالنظر إلى صفات العبد إلى:

أولاً: الصفات الربوبية.

كالكبر، والفخر، وحب المدح، ودوام البقاء، وأخص بالحديث من هذه الصفات الكبر، فهو من كبائر الإثم التي حذر الله منها في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ⁽⁵⁸⁾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ⁽⁵⁹⁾ وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾ ⁽⁶⁰⁾ وقاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ⁽⁶¹⁾.

وقد حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من الكبر فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء تحسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة" ⁽⁶²⁾، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله لا ينظر إلى من يجزؤ إزاره بطراً" ⁽⁶³⁾ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قيل يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال: "إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق، وغمط الناس" ⁽⁶⁴⁾ وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم" ⁽⁶⁵⁾ وعن بن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال -صلى الله عليه

⁽⁵⁸⁾ الأعراف: الآية 146.

⁽⁵⁹⁾ النحل: الآية 23.

⁽⁶⁰⁾ غافر: الآية 35.

⁽⁶¹⁾ غافر: الآية 60.

⁽⁶²⁾ رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء رقم 3226.

⁽⁶³⁾ رواه مسلم كتاب اللباس والزينة رقم 3893.

⁽⁶⁴⁾ رواه مسلم كتاب الإيمان رقم 131.

⁽⁶⁵⁾ رواه الترمذي كتاب البر والصلة رقم 1923.

وسلم:- يقول الله سبحانه "الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحد منهما ألقيته في النار" (66).

والكبر قسمان: باطن، وظاهر أو كِبَرٌ وتكبر وقد وضع الغزالي ذلك فقال: "اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن، وظاهر فالباطن: هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح، واسم الكبر بالخلق الباطن أحق، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق، وخلق الكبر موجب للأعمال، ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر" (67) وأما سبب التكبر فيرجع إلى اعتقاد الإنسان بتميزه عن الغير في بعض الجوانب يقول عفيف عبد الفتاح طيارة: "اعتقاده بتميزه على الغير بعلم، أو عمل، أو نسب، أو مال، أو جاه، أو قوة، أو كثرة اتباع، أو جمال وهو أكثر ما يثير التكبر بين النساء" (68)، ولعلاج الكبر، يجب على المتكبر مجاهدة النفس الأمارة بالسوء، وليذكر أن ما أسبغ عليه من النعم التي كانت سببا في تكبره هي من الله الذي له الكبرياء وحده، في السماوات، والأرض، وهو قادر على سلبها ثم إن المرجع، والمآب يكون إلى العزيز الوهاب الذي يلقي في النار كل من نازعه في عظمته وكبريائه، قال تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ (69) وليذكر المتكبر أن خلقه من ماء مهين، فلم التكبر والعجب؟ قال تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نقطة خلقه فقدّره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره﴾ (70).

ثانيا: الصفات الشيطانية.

وهي ما اتصف به الشيطان من وسوسة في صدر الإنسان وقد ذكر الغزالي أن هذه الصفة يتشعب عنها: "الحسد والبغي، والحيلة، والخداع، والأمر بالفساد، والمكر، وفيه يدخل الغش، والنفاق، والدعوة إلى البدع، والضلال" (71).

(66) ابن ماجه كتاب الزهد رقم 4165. واللفظ له. وأبو داود رقم 3567. وأحمد رقم 8539.

(67) أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين 144/4.

(68) الخطايا في نظر الإسلام ص: 164.

(69) الزمر: الآية 60.

(70) عيسى: الآيات 17.....21.

(71) الإحياء 16/4.

وأخص بالحديث من هذه الصفات النعمة التي تؤذي صاحبها قبل إيداء غيره، فهو وإن ثمن زوال نعمة الآخرين يشقى بما ينعمون به، ويعيش حياة النكد، و الاكتئاب .

وقد نهانا الله عن الاتصاف بالحسد فقال: ﴿ وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (72) وعلى المحسود أن يستعيز بالله من شر الحاسد قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (73) وعليه أن يعفو عنه ولا يؤاخذ على حسده قال تعالى: ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (74).

وخير علاج للحسد القناعة بما قسم الله للإنسان دون مقارنة حاله بمن هو أسعد منه حظا في الجوانب المادية فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال، والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه" (75).

ثالثا: الصفات البهيمية.

والاتصاف بما يجعل الإنسان في صنف البهائم التي تجري وراء تلبية غرائزها الفطرية بعيدا عن العقل والتعقل فذاك ما فطرت عليه. ولذلك شبه الله الكفار في تمتعهم وهمهم بالأنعام فقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ، وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (76).

(72) النساء: الآية 32.

(73) سورة الفلق .

(74) البقرة: الآية 109.

(75) رواه البخاري، كتاب الرقة رقم 6009.

(76) محمد : الآية 21.

وقد ذكر الغزالي أن هذه الصفة يتشعب منها: "الشرة والكَلْبُ، والحرص على قضاء شهوتي البطن والفرج، ومنه يتشعب الزنا، واللواط، والسرقعة، وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات" (77).

وأخص بالتوضيح من هذه الصفات الشره، وهو تجاوز حد الاعتدال في الأكل والشرب، وذلك دليل على ضعف رغبات الفرد الروحية، وتغلب المتعة المادية المضعفة للإحسان، والتضحية، وإنكار الذات، ولذلك أباح الله الأكل، والشرب من الحلال، ونهى عن الإسراف في ذلك فقال: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (78).

رابعاً: الصفات السبعة.

وهي صفات تجعل صاحبها إلى السبع أقرب منه من إلى الإنسان المتزن الذي ضبط سلوكه وتغلب على نفسه، وقد ذكر الغزالي في الإحياء أن الصفات السبعة يتشعب منها: "الغضب، والحقْد، والتهجم على الناس بالضرب، والشتم، والقتل، واستهلاك الأموال، ويتفرع عنها جمل من الذنوب" (79). ومن الصفات السبعة المتحكمة في الإنسان :

الغضب:

إذ هو من الرذائل المذمومة التي إذا تحكمت في أفراد المجتمع أدت إلى تمزيق روابط المودة بينهم، وعدم الاستسلام للغضب من صفات المتقين الذين يستحقون رضوان الله قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (80). فالغيظ هو أشد الغضب، وكظمه هو الإمساك على ما في النفس من الغضب حتى لا يظهر له أثر .

(77) الإحياء 16/4.

(78) الأعراف: الآية 31.

(79) الإحياء 16/4.

(80) آل عمران: الآية 134.

والمؤمن يرتفع درجة أعلى فوق كظم الغيظ - فيعفو على المعتدي الذي أثار الغضب - ويقابله بالإحسان وذلك ما دعا إليه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾⁽⁸¹⁾. كما أن مجاهدة النفس وامتلاكها عند الغضب من علامات القوة والثبات فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب⁽⁸²⁾.

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

(81) الشورى: الآية 34.

(82) رواه البخاري كتاب الأدب رقم 5649.

المبحث الرابع

أثر المعاصي في تقويض الأمم وكيفية علاج الإسلام للعصاة.

ويضم مايلي:

المطلب الأول: أثر المعاصي في تقويض الأمم.

المطلب الثاني: كيفية علاج الإسلام للعصاة.

إن سنن الله في خلقه نافذة لا محالة، فلا تبديل ولا تغيير قال تعالى: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (1). ومن هذه السنن، معاقبة العصاة المعتدين المتمادين في ظلمهم، وغيهم. لا فرق في ذلك بين الأفراد، والأمم قال تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ (2). وقال تعالى: ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ (3).

المطلب الأول : أثر المعاصي في تقويض الأمم.

إن دعوة الله عباده لطاعته ليس لمنفعة تلحقه كما أن نهيهم عن عصيانه ليس لضرر يُدفع عنه فهو لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين. إنما حذر من المعصية لما لها من آثار سلبية سيئة تعود على الفرد، واجتمع يقول تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد﴾ (4) ويقول: ﴿إن أحسنتم. أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (5).

وقد ذكر القرآن بعض آثار ما يصيب الأمم من جراء المعاصي في أفرادها فقال تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم، أو يلبسكم شيعاً، ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرَف الآيات لعلهم يفقهون﴾ (6). كما ذكر بعض الأمثلة لأقوام عصوا الله، وكذبوا رسله فكان عاقبة أمرهم خسراً، وأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا "ومن هؤلاء الأقوام :

(1) الأحزاب: الآية 62.

(2) الإسراء: الآية 16.

(3) الإسراء: الآية 52.

(4) فصلت : الآية 46.

(5) الإسراء: الآية 07.

(6) الأنعام: الآية 66.

قوم لوط :

وهم الذين بعث الله فيهم نبيه لوطا-عليه السلام- فقد كانوا من أفجر الناس، وأكفرهم يقطعون الطرق، ويأتون في ناديهم المنكر، وقد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد وهي فاحشة اللواط. وقد ذكر الله قصة لوط مع قومه في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون، وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناها، وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ ⁽⁷⁾ وقوله: ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم، وضاق بهم ذرعا، وقال هذا يوم عصيب، وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات، قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله، ولا تخزونني في ضيفي أليس منكم رجل وشيذ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ ⁽⁸⁾ وقوله تعالى: ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين، إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال إني لعملكم من القالين ﴾ ⁽⁹⁾ وقوله: ﴿ ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، أينكم لتأتون الرجال، وتقطعون السبيل، وتأتون في ناديكم المنكر، فما كان جواب قومه، إلا أن قالوا إيتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ ⁽¹⁰⁾.

⁽⁷⁾ الأعراف: الآيات 79...82.

⁽⁸⁾ هود: الآيات 77...80.

⁽⁹⁾ الشعراء: الآيات 160...168.

⁽¹⁰⁾ العنكبوت: الآيات 28-29.

تلك هي أغلب الآيات التي تحدثت عن قصة لوط وقومه، والحديث عنهم في مواضع كثيرة من القرآن يدل على شناعة الجرم الذي ارتكبه، والمعاصي التي اقترفوها، إذ لم يسبقهم إلى ارتكاب فاحشة اللواط من سبقهم من الأقوام ولذلك عاقبهم الله العقاب الشديد، بما كانوا يعملون.

وقد فصلت كتب التفسير قصة لوط مع قومه فليرجع إليها⁽¹¹⁾ وأكتفي في هذا المقام بذكر معصيتهم وما سلط الله عليهم من العذاب.

1- معصيتهم:

تمثلت معصية قوم لوط في فاحشة اللواط إذ أسرفوا في اتیان الرجال في أدبارهم بشهوة منهم، من دون النساء، ولذلك وبخهم لوط-عليه السلام- قال تعالى: ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾⁽¹²⁾.

يقول الطبري: "يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه توبيخا منه لهم على فعلهم "أنكم" أي القوم "لتأتون الرجال" في أدبارهم "شهوة" منكم لذلك "من دون" الذي أباحه الله لكم وأحله ﴿من النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ يقول: إنكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا وذلك هو الإسراف في هذا الموضع" ⁽¹³⁾.

وإلى جانب اللواط كانوا يأتون القبائح والمنكرات في أنديتهم، ويقطعون الطرق على المسافرين، ويسلبون أموالهم، ثم يعتدون عليهم بالفاحشة .

يقول القرطبي: "كانوا قطاع الطريق...وقيل كانوا يأخذون الناس من الطرق لقضاء الفاحشة، وقيل إنه قطع النسل بالعدول عن النساء إلى الرجال...واختلف في المنكر الذي كانوا يأتونه فقالت فرقة كانوا يحذفون النساء بالحصى ويستخفون بالغريب، والخاطر عليهم وروته أم هانئ، عن النبي صلى الله عليه وسلم- قالت أم هانئ: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم- عن قول الله عز

(11) أنظر: الطبري 234/5 وما بعدها. القرطبي 248/7 وما بعدها. المنار 508/8 وما بعدها. التحرير والتوير 229/8 وما بعدها.

مع الأنبياء في القرآن لعقيد عبد الفتاح طبارة.

(12) الأعراف: الآيات 80-81.

(13) الطبري 234/5.

وجل: ﴿ وتأتون في ناديكُم المنكر ﴾ قال: "كانوا يحذفون من يمر بهم، ويسخرون منه، فذلك المنكر الذي كانوا يأتونه " (14).

2- العذاب المسلط عليهم:

لقد دعى لوط -عليه السلام- قومه إلى الإيمان بالله وترك المعاصي، والمنكرات إلا أنهم لم يستجيبوا، وهددوه بالإخراج من بلادهم فكان جوابه أنه مُنْكَرٌ لما يفعلون مبغض لما يعملون قال تعالى: ﴿ قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال إني لعملكم من القالين ﴾ وعاقبهم الله يجعل عالي القرية سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل قال تعالى: ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ (15) وقال: ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (16) منضود (17) مسومة (18) عند ربك، وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ (19).

يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير هذه الآية: « فلما جاء أمرنا أي عذابنا أو مواعده جعلنا عاليها سافلها أي قلبنا أرضها أو قراها كلها، وخسفنا بها الأرض... "وأمطرنا عليها" أي قبل القلب أو في أثنائه، وحكمته أن يصيب الشذاذ المتفرقين من أهلها ﴿ حجارة من سجيل ﴾ وفي الذاريلت ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ » (20). ويقول السيد قطب في نوع العذاب الذي أصاب قوم لوط من خلال الآية السابقة: "والصورة التي يرسمها السياق لهذه النازلة التي أصابت قوم لوط أشبه شيء ببعض الظواهر البركانية التي تخسف فيها الأرض فتبتلع ما فوقها ويصاحب هذا حمم وحجارة، ووحل وعند ربك للظالمين كثير، ولا نقول هذا الكلام لنقول: إنه كان بركان من تلك البراكين ثار في ذلك الوقت

(14) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده.

(15) الأعراف: الآية 84.

(16) السجيل حجر وطين مختلط ذكره صاحب النار عن الراغب 137/12.

(17) منضود: متراكب بعضه في أثر بعض. النار 137/12.

(18) مسومة: لها سومة أي علم. النار 137/12.

(19) هود: الآية 84.

(20) النار 137/12.

فوق ما وقع إننا لا ننفي هذا فقد يكون هو الذي وقع فعلا، ولكننا لا نجزم به كذلك ولا نقيّد قدر الله بظاهرة واحدة مألوفة" (21).

وفي هذه القصة عبرة للظالمين الذين يأتون هذه الفاحشة، فإن العذاب لاحق بهم إن لم يتوبوا إلى خالقهم، قال تعالى: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ (22)، وقال: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ (23) وأيا كان العذاب الذي سلط عليهم فقد عوقبوا العقاب الشديد بما عصوا وكانوا يعتدون .

المطلب الثاني: كيفية علاج الإسلام للعصاة.

لقد أخذ الإسلام بأيدي العاصين ليعيدهم إلى درب الطائعين، فأنذرهم العذاب الأليم، ووعدهم جنات النعيم قال تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله، ويتعد حدوده ندخله نارا خالدا فيها، وله عذاب مهين﴾ (24) وقال: ﴿وعد الله المؤمنين، والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ومسكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ (25).

وقد رحم الله عباده بما افترض عليهم من العبادات مما يقيهم شر الوقوع في المعاصي، وهو العلاج النافع للنفوس الضالة البعيدة عن توجيهات خالقها. يقول الشيخ محمود شلتوت: «فالصلاة وقاية ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (26) ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين﴾ (27) وكذلك الصوم قال تعالى: في حكمته: ﴿لعلكم تتقون﴾ وعن علقمة قال: بينما أنا أمشي مع عبد الله -رضي الله عنه- فقال: كنا مع النبي -صلى الله عليه

(21) السيد قطب في ظلال القرآن 1915/4.

(22) هود: الآية 84.

(23) آل عمران: الآية 135.

(24) النساء: الآية 14.

(25) التوبة: الآية 73.

(26) العنكبوت: الآية 45.

(27) المعارج: الآيات 19...22.

وسلم- فقال: من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" (28).

ومعناه أنه يسد منافذ الشر، والسوء فيقي المؤمن من المعاصي، ويمنعه من الوقوع في المخالفة» (29).

وما قيل عن الصوم، والصلاة يقال عن سائر العبادات فهي تطهير للإنسان من رجس المعاصي وإبعاد له عن شرورها، وأخطارها، كما أن التوبة علاج دائم يمحو أثر المعصية من النفس بعد الوقوع فيها قال تعالى: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾ (30).

فما هي التوبة ؟

(28) البخاري كتاب الصوم رقم 1772.

(29) محمود شلتوت من توجيهات الإسلام ص: 339. بتصرف بسيط.

(30) المائدة: الآية 39.

الفصل الثاني

التعريف بالثبوت وما في معناها من الألفاظ.

المبحث الأول: التعريف بالثبوت.

أولاً: التعريف اللغوي.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي.

المبحث الثاني: الألفاظ المشابهة للثبوت في المعنى.

المطلب الأول: التعريف بالاستغفار.

أولاً: التعريف بالاستغفار لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الاستغفار في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التعريف بالإنبابة.

أولاً: التعريف بالإنبابة لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الإنابة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التعريف بالأوبة.

أولاً: تعريف الأوبة لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الأوبة في القرآن الكريم.

المبحث الأول

التعريف بالتوبة.

ويتضمن مايلي:

أولاً: التعريف اللغوي.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي.

تمهيد :

التوبة من أبرز أخلاق القرآن الكريم، من تخلق بها كان من المعتصمين بحبل الله، الفائزين بمحبته.

وقد تكرر ذكرها في كثير من آيات القرآن الكريم⁽¹⁾، وذلك دليل على مكانتها العظيمة في

الإسلام، وعلى دعوة العاصين المسرفين على أنفسهم إلى التخلق بها، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله، تلك مكانة التوبة في القرآن فما هو تعريفها؟

للتوبة تعريفان: لغوي، واصطلاحي:

(1) ذكرت في سورة البقرة: الآيات 36-53-127-159-186-220-278.

آل عمران: الآيات 88-89-128.

النساء: الآيات 16-17-18-26-27-63-91-145.

المائدة: الآيات 36-41-73-76.

الأنعام: الآية 55.

الأعراف: الآيتان 143-153.

التوبة: الآيات 3-5-11-15-27-75-103-105-107-113-118-119-127.

هود: الآيات 3-52-60-90-112.

الرعد: الآية 31.

النحل: الآية 119.

مريم: الآية 60.

طه: الآيتان 80-119.

النور: الآيات 5-10-31.

الفرقان: الآيتان 70-71.

الفصص: الآية 67.

الأحزاب: الآيتان 24-73.

غافر: الآيتان 2-6.

الشورى: الآية 23.

الأحقاف: الآية 14.

الحجرات: الآيتان 11-12.

المجادلة: الآية 13.

التحریم: الآيات 4-5-8.

المرمل: الآية 18.

البروج: الآية 10.

النصر: الآية 3.

أولاً: التعريف اللغوي.

التوبة في اللغة: مصدر مشتق من الفعل -تاب- الذي أصله -توب-، والتائب هو العائد إلى ربه، والتَّوَاب: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: أنه -سبحانه- هو الموفق لأسباب التوبة، ويقال للعبد تَوَّاب، أي: كثير التوبة، والندم، والاستغفار.

وقد ذكرت التوبة في معاجم اللغة العربية بمعانٍ متقاربة منها:

1- الرجوع من المعصية إلى الطاعة. ذكر هذا المعنى ابن منظور فقال: "العبد التائب هو العائد إلى الله من المعصية إلى الطاعة، رجاء المغفرة، والثواب" ⁽²⁾.

2- ترك الذنب على أجل الوجوه. وذكر هذا المعنى الراغب الأصفهاني فقال: "إن التوب: ترك الذنب على أجل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه:

أ- إما أن يقول المعتذر لم أفعل.

ب- أو يقول فعلت لأجل كذا.

ج- أو فعلت، وأسأت، وقد أقلت وهذا الأخير هو التوبة" ⁽³⁾.

3- الرجوع إلى الله بترك الذنب.

يقول الزمخشري ⁽⁴⁾: "تاب العبد إلى الله من ذنبه، وتاب على عبده، والله تواب، وإلى الله المتاب، واستتاب الحاكم فلانا عرض عليه التوبة، والمرتد يستتاب، وأدرك فلان زمن التوبة أي الإسلام لأنه يُتاب فيه من الشرك" ⁽⁵⁾.

ويُختار من المعاني السابقة للتوبة -ترك الذنب على أجل الوجوه- الذي ذكره الأصفهاني، إذ التوبة الحقيقية هي الاعتراف بالذنب والإساءة والإقلاع الفوري بعد ذلك.

⁽²⁾ المنظور لسان العرب - مادة توب. 233/1.

⁽³⁾ الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن. ص: 72.

⁽⁴⁾ هو أبو القاسم -جار الله- محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري أحد أئمة المعتزلة، من أشهر مؤلفاته الكشاف في التفسير، الفائق والغريب، توفي سنة 568 هـ.

ابن كثير البداية والنهاية 219/12، والذهبي ميزان الاعتدال 78/4.

⁽⁵⁾ الزمخشري أساس البلاغة، ص: 65.

ثانيا: تعريفها اصطلاحا.

يتضح معنى التوبة الاصطلاحي من خلال التعاريف الآتية:

1- تعريف أبي حامد الغزالي:

قال الغزالي: "وكثيرا ما يطلق على معنى الندم وحده، وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة: "إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ، فإن هذا يعرض لمجرد الألم ولذلك قيل: هو نار في القلب يلتهب، وصدع في الكبد لا ينشعب، وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة: إنه خلع لباس الجفاء، ونشر بساط الوفاء" (6).

2- تعريف شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (7):

عرف ابن تيمية التوبة فقال: "التوبة المشروعة هي: "الرجوع إلى الله، وإلى فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه" (8)

3- تعريف ابن قيم الجوزية:

عرف ابن قيم الجوزية التوبة فقال: "حقيقة التوبة: الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يجب، وترك ما يكره فهي رجوع من مكروه إلى محبوب فالرجوع إلى المحبوب جزء مسماها، والرجوع عن المكروه الجزء الآخر ... ويدخل في مسماها الإسلام والإيمان، والإحسان، وتتناول جميع المقامات، ولهذا كانت غاية كل مؤمن، وبداية الأمر، وخاتمته، هي الغاية التي وجد لها الخلق، والأمر والتوحيد جزء منها بل هو جزؤها الأعظم" (9).

(6) أبو حامد الغزالي الإحياء 146/4.

(7) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العباس تقي الدين بن تيمية، برع في الحديث والعلل والفقه، من أشهر مؤلفاته مجموع الفتاوى، التوسل والوسيلة، مات في ذي القعدة سنة 722 هـ.

الذهبي تذكرت الحفاظ 1496/4.

(8) ابن تيمية، التوبة، ص: 15. حققها وخرج أحاديثها عبد الله الحجاج.

(9) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 333-331/1.

4- تعريف الحارث بن أسد المحاسبي⁽¹⁰⁾:

عرف المحاسبي التوبة النصوح المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾⁽¹¹⁾ فقال: "ومعنى نصوحا: ترك الدعوة إلى ما تاب منه العبد وأشهد به على نفسه لربه"⁽¹²⁾.

ثالثا: التعريف المختار.

لقد أحاطت التعاريف السابقة بالمعنى القرآني للتوبة إلا أن تعريف ابن تيمية قد تميز عنها، ويختار من بينها لسببين:

أ- التأكيد على معنى التوبة من جهة فعل المأمورات وهو ما يغفل عنه كثير من الناس: إذ معنى التوبة عندهم يتجه إلى المنهيات، وفعل السيئات يقول ابن تيمية: "ولست التوبة ممن فعل السيئات فقط كما يظن كثير من الجهال لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العبد من القبائح كالفواحش، والمظالم"⁽¹³⁾.

ب- التنبيه على التوبة من ترك الحسنات المأمور بها، فدأثرها في الشرع أوسع من دائرة المنهيات، وبذلك يلزم التائب بأغلب التكاليف الشرعية.

⁽¹⁰⁾ هو الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، سمي بالمحاسبي لكثرة محاسبه لنفسه ولد ببغداد وما تعلم قال عنه الخطيب البغدادي كان عالما فهما وله مصنفات في أصول الديانات ونعته الذهبي بالراهد الناطق بالحكمة، توفي سنة 243هـ.

طبقة الشافعية لابن السبكي 2/275. سير النبلاء 12/110. التهذيب للحافظ 1/326، 327. العبر 1/346. الشذرات 1/103.

⁽¹¹⁾ التحريم: الآية 8.

⁽¹²⁾ الحارث بن أسد المحاسبي، رسالة المسترشد، ص: 45. تحقيق وتعليق الدكتور: شرفي أحمد الرفاعي

⁽¹³⁾ ابن تيمية، التوبة، ص: 15.

المبحث الثاني

الألفاظ المشابهة للتوبة في المعنى.

ويتضمن مايلي:

المطلب الأول: التعريف بالاستغفار.

أولاً: التعريف بالاستغفار لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الاستغفار في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التعريف بالإنبابة.

أولاً: التعريف بالإنبابة لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الإنابة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التعريف بالأوبة.

أولاً: تعريف الأوبة لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الأوبة في القرآن الكريم.

من الألفاظ المشابهة للتوبة في المعنى الاستغفار.

المطلب الأول : التعريف بالاستغفار.

أولاً: التعريف بالاستغفار لغة، واصطلاحاً.

أ- الاستغفار في اللغة:

اللفظ الأول المؤدي معنى التوبة هو الاستغفار: وهو مصدر مشتق من الفعل -غفر-.

وللإستغفار وما اشتق منه معان متعددة منها:

1- الستر والتغطية:

ذكر هذا المعنى ابن منظور وغيره فقال : "فما ستر من الأشياء فقد غفر. ولذا يقال: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه" ⁽¹⁾ أي أستر.

2- الإصلاح :

ذكره كذلك ابن منظور فقال: "يقال: اغفروا هذا الأمر بغفرته أي : أصلحوه" ⁽²⁾.

3- العفو والتجاوز:

ذكر هذا المعنى ابن منظور فقال: "فالعفور جل ثناؤه هو المتجاوز عن الخطايا، وفي الحديث: كان إذا خرج من الخلاء قال : "غفرانك" ⁽³⁾، فالغفران مصدر وهو منصوب بإضمار أطلب أي: أطلب غفرانك" ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ابن منظور، لسان العرب، 339/6 مادة غفر. وانظر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح 770/2-771. أحمد رضا، معجم من اللغة، مجلد 4 ص: 308 . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، 102/2. العلامة الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: 374.

⁽²⁾ لسان العرب 331/6. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، 770/2-771.

⁽³⁾ الترمذي، كتاب الطهارة، رقم 7 واللفظ له. الدارمي، الطهارة، رقم 677.

⁽⁴⁾ لسان العرب، مادة غفر 25/5.

4- الكثرة، والزيادة:

وهو لابن منظور قال: "ففي حديث أبي ذر قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا" وقال مرة خمسة عشر... أي جماعة كثيرة⁽⁵⁾.

تلك هي أغلب المعاني اللغوية -لغفر- وما اشتق منها ويختار منها الستر، والعفو، والتجاوز: فالله هو الساتر للذنوب عاده، العفو عنهم، المتجاوز عن سيئاتهم بعد توبتهم، وإنابتهم.

ب- الاستغفار في الاصطلاح:

يتضح معنى الاستغفار في الاصطلاح من خلال التعاريف الآتية :

1-تعريف الطبري:

عرف الطبري الاستغفار فقال: "هو سؤال العباد ربه غفران ذنوبهم، والتوبة إليه من الكفر، وعبادة ما سواه من الآلهة وإخلاص العبادة له"⁽⁶⁾.

2- تعريف القرطبي:

عرف القرطبي الاستغفار فقال: "هو سؤال المغفرة من الذنوب السابقة بإخلاص الإيمان"⁽⁷⁾.

3- تعريف المنذري⁽⁸⁾:

عرف المنذري الاستغفار فقال: "هو طلب المغفرة، والعفو والاكثار من الدعاء بطلب الهداية، والإقالة من الذنوب رجاء الرحمة، وقبول العمل، والإثابة"⁽⁹⁾.

4- تعريف ابن تيمية:

⁽⁵⁾ أحمد، مند الأنصار رقم 20566 واللفظ له.

⁽⁶⁾ تفسير الطبري، 93/29.

⁽⁷⁾ تفسير القرطبي، 309/18.

⁽⁸⁾ أبو أحمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، من كبار المحدثين ومن أشهر مؤلفاته الترغيب والترهيب ومختصر سنن الترمذي. مات سنة 656 هـ.

الذهبي تذكرة الحفاظ، 1436/4.

⁽⁹⁾ المنذري، 466/2.

قال ابن تيمية: "الاستغفار هو طلب وقاية شر الذنب مع عدم المعاقبة عليه العقوبة المستحقة" (10).

ويستخلص من التعاريف السابقة أمران:

الأول: الاستغفار من طرف العبد: هو طلب المغفرة مع إخلاص الإيمان لله تعالى.

الثاني: نجاة العبد من عقاب الله يكون بالاستغفار المصحوب بالعمل الصالح قال تعالى: ﴿وما

كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ (11).

ثانيا: الاستغفار في القرآن الكريم.

الاستغفار من الأخلاق القرآنية العظيمة، وقد ورد ذكره في آيات كثيرة من القرآن الكريم (12) وهو بالنظر إلى التوبة نوعان: يقول ابن قيم الجوزية: "الاستغفار نوعان: مفرد ومقرون بالتوبة.

فالمفرد كقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم

مدرارا﴾ (13) وكقول صالح لقومه: ﴿لولا تستغفرون الله لهلكم ترجمون﴾ (14) ...

والمقرون كقوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت

كل ذي فضل فضله﴾ (15). وقول هود لقومه: ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم

(10) ابن تيمية، مجموع فتاوي ابن تيمية، ص: 316-318.

(11) الأنفال: الآية 33.

(12) ورد ذكر الاستغفار في السور الآتية:

البقرة: الآية 199.

آل عمران: الآيات 135-155.

النساء: الآيات 106-110.	المائدة: الآية 74.	الأنفال: الآية 33.	التوبة: الآيات 80-113.
هود: الآيات 3-52-61-90.	يوسف: الآيات 29-97-98.	الكهف: الآية 55.	مریم: الآية 47.
النور: الآية 62.	النمل: الآية 46.	غافر: الآيات 7-55.	فصلت: الآية 6.
الشورى: الآية 6.	محمد: الآية 19.	الذاريات: الآية 18.	المتنحة: الآيات 4-12.
المنافقون: الآيات 3-5-6.	نوح: الآية 10.	الزمر: الآية 20.	النصر: الآية 3.

(13) نوح: الآيات 10-11.

(14) النمل: الآية 48.

(15) هود: الآية 3.

مدرارا⁽¹⁶⁾ وقول صالح لقومه: ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾⁽¹⁷⁾. وقول شعيب: ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ﴾⁽¹⁸⁾.

فالاستغفار المفرد كال்தوبة بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب وإزالة أثره... فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله⁽¹⁹⁾.

هذا هو معنى الاستغفار في القرآن الكريم والذي ينحو أصحابه من عذاب الله، إن توجهوا إليه بطلب المغفرة، ولم يصروا على ما فعلوا.

المطلب الثاني: التعريف بالإنابة.

أولاً: التعريف بالإنابة لغة، واصطلاحاً.

أ- التعريف اللغوي:

اللفظ الثاني الدال على معنى التوبة هو: الإنابة، وهو مصدر مشتق من الفعل -ناب- الذي أصله نوب، وقد تعددت معاني الأوبة في اللغة وذلك حسب السياق الواردة فيه ومن هذه المعاني:

1- الانقطاع إلى الله بالعبادة⁽²⁰⁾.

2- قيام فلان مقام فلان، ذكر هذا المعنى في الصحاح: "فيقال مثلاً ناب عني فلان ينوب مناباً أي: قام مقامي"⁽²¹⁾.

(16) هود: الآية 52.

(17) هود: الآية 61.

(18) هود: الآية 90.

(19) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 307/1-308.

(20) لسنا العرب، 774/1. وانظر معجم متن اللغة، 5/ 568.

(21) إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، 228/1-229.

محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، مادة نوب.

3- القوة: "فيقال: أصبحت لا نوبة لك أي: لا قوة لك" (22).

4- النازلة: "فالإنابة هي: النازلة جمع نوازل، ويقال: ناب الأمر نوبا، ونوبة: نزل" (23).

5- القصد مرة بعد أخرى: "فيقال انتاب الرجل القوم انتابا إذا قصدهم، وأتاهم مرة بعد أخرى" (24).

والمعنى المختار مما سبق من معاني الإنابة اللغوية هو الانقطاع إلى الله بالعبادة فهو الأنسب في هذا المقام قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق، وما أريد أن يطعمون﴾ (25) وقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (26).

ب- التعريف بالإنابة اصطلاحا.

عرف العلماء الإنابة بتعاريف متعددة متقاربة المعنى منها:

1- تعريف الزمخشري:

قال الزمخشري، في تعريف الإنابة: "هي الرجوع إلى الله بما يحب، ويرضى" (27).

2- تعريف سيد قطب:

عرفها السيد قطب: "بأنها العودة السريعة إلى الله" (28).

3- تعريف الدكتور أحمد الشرباصي:

(22) لسان العرب، 1/774.

(23) المرجع نفسه، 1/774.

(24) المرجع نفسه، 1/774. وانظر معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص: 529. الصحاح، الفيروزابادي 1/134.

(25) الذاريات: الآيات 56-57.

(26) الحجر: الآية 99.

(27) تفسير الكشاف، 2/226.

(28) سيد قطب، في ظلال القرآن، 4/1913.

عرفها الشرباصي بقوله هي: "الرجوع إلى الله بالاستغفار والمتاب، وإخلاص العمل لوجهه، والتزام بابه" (29).

ويُختار تعريف السيد قطب من بين التعاريف السابقة، وذلك لربطه العودة إلى الله بالسرعة وفي ذلك دعوة إلى الإنابة من قريب واجتناب التسويف المهلك.

ثانياً: الإنابة في القرآن الكريم.

الإنابة من الأخلاق القرآنية العظيمة، ورد ذكرها في مواضع متعددة من القرآن الكريم (30). وقد دعا الله عباده ورسله إلى الإنابة فقال لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ، وَاتَّقُوهُ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴾ (31)، والإنابة صفة الأنبياء والمرسلين قلل تعالى عن إبراهيم الخليل - عليه السلام - : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (32)، وقال عن نبيه شعيب: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (33)، وقال عن سليمان : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ، وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (34). وأخبر أن آياته إنما يتبصر، ويتذكر بها أهل الإنابة فقال: ﴿ أَفَلَمْ

(29) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن 249/1.

(30) ذكرت الإنابة بمشتقات مختلفة في الآيات الآتية مرتبة حسب السور وهي:

هود: الآيات 74-88.	الرعد: الآية 28.	الروم: الآيات 30-32.
لقمان: الآية 14.	سبأ: الآية 9.	ص: الآيات 23-33.
الزمر: الآيات 9-16-51.	غافر: الآية 12.	الشورى: الآيات 8-11.
ق: الآيات 8-33.	المتحنة: الآية 4.	
(31) الروم: الآية 30.		
(32) هود: الآية 74.		
(33) هود: الآية 88.		
(34) ص: الآية 33.		

ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها ﴿ إلى أن قال : ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ (35)
وقال تعالى : ﴿ هو الذي يرىكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب ﴾ (36).

كما أخبر أن ثوابه، وجنته لأهل الحشية والإنابة فقال: ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما
تعدون لكل أبواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب، وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ﴾ (37).

وقد بشر عباده المنيين أحسن البشرى فقال : ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى
الله لهم البشرى ﴾ (38).

والإنابة مترلة تأتي بعد مترلة التوبة يقول ابن القيم : "إن من نزل في مترلة التوبة، وقام في مقامها
نزل في جميع منازل الإسلام فإن التوبة الكاملة متضمنة لها، وهي مندرجة فيها ... فإذا استقرت قدمه
في منزل التوبة نزل بعده منزل الإنابة" (39).

تلك هي مكانة خلق الإنابة في القرآن الكريم، وهي مكانة لا يرتقي إليها إلا من خاف ربه
وطمع في جنته، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

المطلب الثالث: التعريف بالأوبة.

أولا: تعريف الأوبة لغة، واصطلاحا.

أ- التعريف اللغوي.

اللفظ الثالث الدال على معنى التوبة هو الأوبة، وهو مصدر مشتق من الفعل -آب- الذي أصله
-أوب-، وقد تعددت معاني الأوبة في اللغة، وذلك حسب السياق الواردة فيه، ومن هذه المعاني:

(35) ق: الآية 8.

(36) غافر: الآية 12.

(37) ق: الآيات 31-34.

(38) الزمر: الآية 16.

(39) مدارج السالكين، 233/I.

1- الدلالة على الرجوع إلى الشيء، وغروب الشمس. ذكر هذا المعنى ابن منظور فقال: « يقال: آبت الشمس إذا غربت ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى آبت الشمس ملأ الله قبورهم ويوتهم أو بطونهم نارا (40) » (41) شك في البيوت والبطون فأما القبور فليس فيه شك.

2- دلالة لفظ -الأوب على: "السحاب، والريح، والسرعة، ورجع القوائم في السير، والقصد، والعادة، والاستقامة، والنحل، والطريق، والجهة، وورود الماء ليلاً" (42).

والرجوع إلى الشيء هو المعنى المختار للأوبة من بين المعاني المذكورة لتضمنها فيه فهو المعنى الأصلي.

ب- التعريف الاصطلاحي.

قال المراغي: "الأوبة في الاصطلاح هي الرجوع إلى الله تعالى في جميع الشؤون، فقد كان داود كلما ذكر ذنبه أو خطر على باله استغفر الله" (43).

ثانياً: الأوبة في القرآن الكريم .

الأوبة خلق عظيم من أخلاق القرآن الكريم، ذكر في مواطن متعددة منه (44).

وقد اتصف بهذا الخلق المختارون من عباد الله من الأنبياء، والرسل فقال تعالى عن داود: ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد أنه أواب ﴾ (45).

(40) مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة رقم 1094 واللفظ له. وقد ورد بالفاظ أخرى فيها جميعاً غربت بدل آبت وذلك عند:

البخاري، الجهاد والسير 2714. مسلم، المساجد ومواضع الصلاة رقم 993. النسائي، الصلاة رقم 469.

(41) لسان العرب، 1/217-211-213. وانظر الراغب الاصفهاني، معجم مفردات القرآن ص: 529. والصحاح 1/88-89.

(42) الفيروزآبادي 37/1.

(43) تفسير المراغي 105/8.

(44) ذكرت الأوبة بمشتقات مختلفة في عدة سور هي:

آل عمران: الآية 14. الرعد: الآيتان 30-37.

سبأ: الآية 10. ص: الآيات 16-18-24-39-43-48-54.

ق: الآية 32.

(45) ص: الآية 16.

يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَوَابٌ﴾ أي أن داود رجّاع لما يكرهه الله إلى ما يرضيه أَوَاب وهو من قولهم آب الرجل إلى أهله إذا رجع⁽⁴⁶⁾.

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "الأوَاب: الكثير الأوب أي الرجوع، والمراد الرجوع إلى أمر الله له، والوقوف عند حدوده، وتدارك ما فرط فيه، والتائب يطلق عليه الأواب، وهو غالب استعمال القرآن وهو مجاز ولا تسمى التوبة أواباً"⁽⁴⁷⁾.

وقال الله تعالى عن سليمان: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾⁽⁴⁸⁾، فقد وصف سليمان في هذه الآية بأنه "نعم العبد" لرجوعه وأوبته إلى الله جاء في تفسير الجلالين: "نعم العبد" أي: سليمان "إنه أواب" رجاع في التسييح والذكر في جميع الأوقات"⁽⁴⁹⁾.

وقد أشار الرازي إلى أن قوله تعالى في الآية السابقة: "إنه أواب" كالتعليل، فهو يدل على أنه إنما كان نعم العبد لأنه كان أواباً فيلزم أن كل من كان كثير الرجوع إلى الله تعالى في أكثر الأوقات، وفي أكثر المهمات كان موصوفاً بأنه العبد، وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه، لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، ورأس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى، ورأس الطاعات ورئيسها الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات إلا بإعانة الله تعالى، ومن كان كذلك كان كثير الرجوع إلى الله تعالى فكان أواباً فثبت أن كل من كان أواباً وجب أن يكون نعم العبد"⁽⁵⁰⁾.

وثواب الأوابين الراجعين من معصية الله إلى طاعته الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَزَلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِيزٍ﴾⁽⁵¹⁾.

⁽⁴⁶⁾ الطبري 136/12.

⁽⁴⁷⁾ تفسير التحرير والتنوير 226/23.

⁽⁴⁸⁾ ص: الآية 29.

⁽⁴⁹⁾ تفسير الجلالين، ص: 486.

⁽⁵⁰⁾ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 203/26.

⁽⁵¹⁾ ق: الآيات 31-32.

الفصل الثالث

أركان النوبة وشروطها، وحكمها والحكمة من مشروعيتها

المبحث الأول : أركان التوبة (التواب، التائب، الذنب)

المبحث الثاني : شروطها (الإقلاع عن الذنب، الندم، العزم على عدم العودة،
رد المظالم).

المبحث الثالث : حكمها.

المبحث الرابع : الحكمة من مشروعيتها.

المبحث الأول

أركان التوبة.

(التواب، التائب، الذنب)

تعريف الركن:

الركن: هو ما يعتمد عليه، فالبيت -مثلا- لا يمكن قيامه إلا بالأركان، والتوبة كذلك لا يمكن تصورها إلا بوجود أركانها.

والركن في اللغة من معانيه اللغوية ⁽¹⁾: الميل إلى الشيء والسكون إليه، قال تعالى: ﴿ولا تركبوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ ⁽²⁾.

وركن الشيء جانبه الأقوى، والركن الناحية القوية وما يتقوى به من ملك، وجند وغيره، قلل تعالى: ﴿لو أن لي بكم قوة، أو آوي إلى ركن شديد﴾ ⁽³⁾.

وفي الاصطلاح عند الجمهور: "هو ما يُتوقف عليه أساسا وجود الشيء، وإن كان خارجا عن ماهيته" ⁽⁴⁾، وقد عرف الدكتور بدران أبو العينين بدران الركن فقال: "الركن هو ما يتوقف وجود الشيء على وجوده، ولكنه جزء من حقيقة الشيء فما جعله الشارع ركنا لشيء يكون جزءا من ذلك الشيء، وينعدم وجوده شرعا إذا انعدم الركن فلا تحقق له بدونه" ⁽⁵⁾.

وتتحقق التوبة بثلاثة أركان هي:

⁽¹⁾ لسان العرب 44-45/17.

معجم من اللغة 642/2.

⁽²⁾ هود: الآية 113.

⁽³⁾ هود: الآية 79.

⁽⁴⁾ الدكتور: وهب الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، 54/1.

⁽⁵⁾ الدكتور: بدران أبو العينين بدران، أصول الفقه الإسلامي، ص: 290.

الركن الأول:

التَّوَابُ: وهو أول وأهم أركان التوبة، واللفظ بصيغة المبالغة -فَعَّال- اسم من أسماء الله الحسنى، وقد ذكر في القرآن اثنتا عشرة مرة-(6) ويعني كثرة التوبة، والعفو منه سبحانه وتعالى على عباده إلا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (7)، فقد دلت على كثرة التوبة، والإنابة إلى الله من العبد. وبذلك تبدو الذنوب الكثيرة قليلة بالنظر إلى عفو الله، وتوبته على عباده، فهو القائل: ﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (8) والقائل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (9).

وقد بين القرطبي معنى -التواب- في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ فقال: "وصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه التواب، وتكرر في القرآن معرفا ومنكرا، واسما، وفعلًا، وقد يطلق على العبد أيضا -تواب-، قال تعالى: ﴿أَنَّهُ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ " (10).

وقال ابن العربي (11): "ولعلمائنا في وصف الرب بأنه تواب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يجوز في حق الرب سبحانه وتعالى فيُدعى به كما في الكتاب والسنة، ولا يُتَأَوَّل. وقال آخرون هو وصف حقيقي لله سبحانه، وتوبة الله على العبد رجوعه من حال المعصية، إلى حال الطاعة.

(6) ذكر في السور الآتية:

البقرة: الآيات 36-53-127-159-220.

النساء: الآيات 16-63.

التوبة: الآيات 105-119.

التور: الآية 10.

الحجرات: الآية 12.

النصر: الآية 3.

(7) البقرة: الآية 220.

(8) البقرة: الآية 36.

(9) النساء: الآية 63.

(10) القرطبي، 1/325.

(11) أبو بكر محمد ابن عبد الله الإشبيلي تفقه بأبي بكر الشاشي تولى قضاء اشبيليا ثم عزل فأقبل على التأليف ونشر العلم إلى أن مات سنة 456هـ، الذهبي تذكرة الحفاظ 4/1294.

وقال آخرون: توبة الله على العبد قبوله توبته، وذلك يحتمل أن يرجع إلى قوله سبحانه وتعالى: قبلت توبتك، وأن يرجع إلى خلقه الإنابة، والرجوع في قلب المسيء وإجراء الطاعات على جوارحه الظاهرة" (12).

وإذا كان لفظ -التواب- اسماً من أسماء الله الحسنى يُدعى به ليتوب عن المسيء وإن كثرت ذنوبه، فإنه سبحانه لا يجوز أن يقال في حقه: -تائب- يقول القرطبي: "ولا يجوز أن يقال في حق الله تعالى تائب اسم فاعل من تاب يتوب، لأنه ليس لنا أن نطلق عليه من الأسماء، والصفات إلا ما أطلقه هو على نفسه، أو نبيه عليه السلام- أو جماعة المسلمين وإن كان في اللغة محتملاً جائزاً... قال الله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ (13) وقال: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ (14) وإنما قيل لله -عز وجل-: تواب، لمبالغة الفعل وكثرة قبول توبة عباده لكثرة من يتوب إليه" (15).

وواجب العبد -بعد إقرار الذنب- أن يدعو ربه ليتوب عليه، فالله قد تعبّدنا بأسمائه، وأمرنا، ورغبنا في دعائه بها، فأسماءه أوصاف مدح، وكمال قال تعالى: ﴿والله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ (16).

جاء في مدارك السالكين: "أن كل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة، فإن أسمائه أوصاف مدح وكمال... ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها، ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيها، وتستدعيه من الأفعال عن المفعولات... فمن أسمائه سبحانه (الغفار، التواب، العفو) فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات، ولا بد من جنابة تُغتفر، وتوبة تُقبل، وجرائم يُعفى عنها، والرب تعالى يُحب ذاته، وأوصافه، وأسماءه فهو عفو يُحب العفو، ويحب المغفرة، ويُحب التوبة، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه، أعظم فرح" (17).

(12) نقلاً عن القرطبي، 1/325-326.

(13) التوبة: الآية 118.

(14) الشورى، الآية 23.

(15) القرطبي، 1/336.

(16) الأعراف: الآية 18.

(17) مدارج السالكين، 1/449-452.

ولا يجوز للعبد أن يدعو الله باسم من أسمائه دون غيره، فأكمل الناس عبودية هو المتعبد بجميع الأسماء، والصفات، يقول ابن القيم رحمه الله: "إن تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله ويحلم عنه، ويتوب عليه، ويسامحه من موجب أسمائه وصفاته... وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا يحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، وهذه طريق الكُمل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويشنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها " (18).

ولا تكن كثرة الذنوب حاجزا بين العبد، وسؤال ربه، فقد خلق الله الإنسان ليتم نعمته عليه، يقول ابن القيم: "فقد خلق الله الإنسان ليتم نعمته عليه، وليتواتر إحسانه إليه، وليخصه من كرامته، وفضله بما لم تنله أمنيته، ولم يخطر على باله، ولم يشعر به، وأنه سبقت رحمته غضبه، وحلمه عقوبته، وعفوه ومؤاخذته، وأنه قد أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وأنه يحب الإحسان والجود والعطاء، والبر، وأن الفضل كله بيده، والخير كله منه فضلا، والجود كله له، وأحب ما إليه أن يجود على عباده ويوسعهم فضلا، يعمرهم إحسانا وجودا، ويتم عليهم نعمته، ويضاعف لديهم منته، ويتعرف إليهم بأوصافه، وأسمائه، ويتحجب إليهم بنعمته وآلائه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (19) وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (20)، وقال: ﴿غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَاقِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ﴾ (21) " (22).

و اسم التَّوَّاب -يعني كذلك أن الله هو الموفق للتوبة، وهو الذي يقبلها من عباده، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم: "وتوبة العبد إلى الله مخوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها، فتوبة بين

(18) المرجع نفسه، 451/1-452.

(19) التوبة: الآية 105.

(20) الشورى: الآية 23.

(21) غافر: الآية 2.

(22) المرجع نفسه، ص: 232-233.

توبتين من ربه: سابقة ولاحقة، فإنه تاب عليه أولاً إذنا وتوفيقاً، وإلهاماً، فتاب العبد فتاب الله عليه ثانياً قبولاً، وإثابة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار، والذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد تزيع قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾⁽²³⁾ فأخبر - سبحانه - أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سبباً مقضياً لتوبتهم، فدلّ على أنهم ما تابوا حتى تاب الله - تعالى - عليهم والحكم ينتفي لانتهاء علته⁽²⁴⁾.

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة يبين فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما فطر الله عليه عباده من إمكانية ارتكاب الذنوب، والفرار إليه بعد ذلك طلباً للمغفرة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم"⁽²⁵⁾.

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"⁽²⁶⁾.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً، وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه، وشرابه"⁽²⁷⁾.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"⁽²⁸⁾.

ومن القصص الدالة على عفو الله - وهي كثيرة - قصة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع وحشي قاتل عمه حمزة - سيد الشهداء - في غزوة أحد، فقد جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -

(23) التوبة: الآية 117.

(24) المرجع نفسه، ص: 339-340.

(25) رواه مسلم كتاب التوبة رقم 4936. وأحمد باقي مسند المكثرين رقم 7736.

(26) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم 2423 والرقائق والورع وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعود عن قتادة. ورواه

ابن ماجه كتاب الزهد رقم 4241، وأحمد باقي مسند المكثرين رقم 12576.

(27) البخاري كتاب الدعوات رقم 5833 واللفظ له، الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع رقم 2422، وابن ماجه كتاب الزهد رقم 4239،

أحمد مسند المكثرين من الصحابة رقم 3447.

(28) رواه مسلم كتاب التوبة رقم 4954 واللفظ له، وأحمد مسند الكوفيين رقم 18708.

فقال: "يا محمد جئتكم مستجيرا بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذا كنت مستجيرا فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله تعالى قال: فإني أشركت بالله العظيم، وقتلت النفس التي حرم الله فهل تقبل من مثلي توبة؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلم يجبه حتى نزل عليه القرآن: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفورا رحيما﴾⁽²⁹⁾، فقرأها عليه فقال: أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فترلت: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾⁽³⁰⁾ فدعاه فقرأها عليه فقال وحشي: فلعلي ممن لا يشاء الله. أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله قال فترلت: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾⁽³¹⁾. الآن لا أرى شرطا فتشهد وأسلم " (32).

تلك قصة وحشي -الذي ارتكب جرما عظيما- بقتل حمزة سيد الشهداء، وقد تاب الله عليه وأكرمه بالدخول في الإسلام، فلا تيأس أيها العبد إن أسرفت في العصيان وتب إلى خالقك فإنه يمهل المذنبين وينتظرهم إلى أن يتوبوا إليه، ولم يبتل البشر بإبليس إلا وأعانهم على دفع شره بقبول توبتهم، فلا تبال بإغواء الشيطان إذا أقبلت على الله بصدق فإن الله يحو إغواء الشيطان بتوبتك النصوح.

فليأخذ العبد حظه من أسماء الله ويدعوه بها فالله رحيم يحب من عباده أن يكونوا رحماء، وهو عفو يحب العفو، وتواب يحب من عباده قبول أعذار الخاطئين وغفار يحب من عباده أن يستروا عيوب غيرهم. يقول سعيد حوى: "ومن حظ العبد من اسم الله التواب على مقتضى العبودية أن يقبل العبد معاذير الخاطئين، والخطائين من رعاياه، وأصدقائه ومعارفه مرة بعد مرة" (33).

(29) الفرقان: الآيات 68-69-70.

(30) النساء: الآية 47.

(31) الزمر: الآية 50.

(32) لم أجد له تفريجا.

(33) المستخلص في تركية الأنفس، ص: 360.

الركن الثاني:

التائب :و هو العبد الراجع إلى ربه -بتوفيق منه- بعد مقارفة الذنب، واللفظ اسم فاعل من تاب أي المبادر إلى التوبة لعلمه بضرر الذنوب، وما يترتب عنها من عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة.

وقد جاء هذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة مجموع جمعا مذكرا سالما في قوله تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (34).

وفي ذلك تنويه وإشادة بمن ذكروا وفي مقدمتهم التائبون فالأوصاف الأخرى من عبادة وحمد لا تتحقق إلا بعد التوبة.

والعبد دائم الرجاء في رحمة ربه، ومغفرته إلا أنه قد يعتريه ما يضعف رجاءه وقد يبين ابن باديس -رحمه الله- سبب ذلك فيما يأتي:

- 1- كثرة ذنوبه التي يشاهدها فتحجبه كثرتها على رؤية مغفرة الله تعالى التي هي أكبر وأكثر.
- 2- رؤيته لطبعة البشري، وما جُبِلَ عليه من المنع عند كثرة السؤال قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (35).

وقد عبر زهير بن أبي سلمى عن هذا الطبع البشري حين قال:

سألنا فأعطيتهم وعدنا فعدتم

ومن أكثر التسأل يوما سيحرم

(34) التوبة: الآية 113.

(35) المعارج: الآيات 19-22.

فيقوده القياس -وهو من طباع البشر أيضا- الفاسد إلى ترك الرجوع، والسؤال من الرب الكريم العظيم النوال. فهذان الأمران يقعدانه عن الرجوع، والتوبة فيستمر في حماة المعصية ذلك هو الهلاك المبين" (36).

ومهما أسرف العبد في اقتراف المعاصي فلا يكن ذلك مانعا له من العودة إلى ربه فمغفرته قد شملت العاصين المسرفين على أنفسهم، وهم كثير ومنهم، ذلك الذي قتل تسع وتسعين نفسا ثم تاب الله عليه وغفر له.

فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعا وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم، من يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا، وكذا فإن بما أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق، فأتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاوسا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة" (37).

فلا عجب أن يغفر الله ذنوبا وإن كثرت، فهو القائل: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ (38). وما على العبد إلا أن يحسن الظن بربه: فيرجو رحمته، ويخاف عذابه.

يقول ابن القيم مبينا أنواع الإنابة: "الإنابة اثنتان: إنابة الربوبية، وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ (39) فهذا عام في حق كل داع أصابه ضرر كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام بسلا

(36) عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص: 112-113.

(37) البخاري أحاديث الأنبياء رقم 3211، مسلم كتاب التوبة رقم 4967، أحمد باقي مسند المكثرين رقم 10727 وابن ماجه الدييات رقم 2612.

(38) طه: الآية 80.

(39) الروم: الآية 32.

تُجمَع الشُّرك والكُفر كما قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (40) فهذا حالهم بعد إنابتهم

والإنابة الثانية: إنابة أوليائه، وهذه إنابة لإلهيته إنابة عبودية، ومحبه وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأمور الأربع وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك (41). فالمدائمة على محبة الله، والخضوع له، والإعراض عما سواه، والاستقامة على التوبة إلى آخر العمر، هي العبودية الحقّة التي يختتم لصاحبها بحسن المآب والنجاة من العذاب. والطائع يحتاج إلى التوبة كما يحتاج إليها العاصي:

يقول الشيخ الغزالي -رحمه الله-: "وأهل الطاعة محتاجون إلى التوبة، كما يحتاج إليها أهل الذنوب، ومن ظن منهم أنه ليس عنده ما يتوب منه، أو ظن أنه مستغن عن المتاب فقد زل" (42).

وإذا كان العاصي محتاج إلى التوبة لما ارتكب من ذنوب فما وجه احتياج الطائعين إلى التوبة؟

يقول الشيخ الغزالي: "والتوبة يتطلبها هؤلاء من عدة جهات:

1- من الخلل الذي يقع في الطاعات نفسها: فإن أحدا قلما يأتي بالعبادات المطلوبة مبرأة من كل عيب وإن العبد لينظر في صلاته، أو في تلاوة كتاب الله مثلاً فيرى أن ضباباً من الغفلة اعترضه في أوقات كثيرة، وهو يصلي أو يقرأ، ومن الممكن أن ترفض له هذه القراءات بتهمة ثابتة وهي سوء الأدب ورداءة التقدم بها بين يدي الله، ومن أجل ذلك التقصير المستمر شرع الاستغفار في أعقاب الصلوات ثلاث مرات.

(40) الروم 32، 33.

(41) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين 467/1.

(42) الشيخ محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام. ص: 210.

2- أن يتوب من الظن بأن هذه الطاعات هي منتهى حق الله عليه، وأن ذمته قد فرغت بأدائها، ودفع الله ثمن نعمه... وبقي على الله أن يبعث ملائكته لتسلم للمغرور مفاتيح الجنة...

3- إن أنواع العبادات التي طوّل المؤمنون بها كثيرة ومن الناس من يُفتَح له في ناحية لا يستطيعها غيره لاستعداد زوّده الأقدار به من قبل وليس في هذا حرج إنّما الحرج أن يستكثر الإنسان من عبادة ما على حين يجب عليه التوسع في غيرها...

4- على العبد أن يكون حارسا على الطاعة دائما وذلك بتنقيتها من شتى الآفات كمن يحرس زرع من الديدان التي تجتاحه فالرجل الذي يعطي ثم يمن، أو يطلب بعطائه الصدارة بين الناس رجل يحبط بهذا المسلك - عمله ويضيع أجره " (43).

ثم ذكر الشيخ الغزالي درجة أعلى من درجة الطائعين سماهم صفوة البشر - وأوجب التوبة في حقهم. فقال: « والصفوة هم قوم رسخت في مقام الإحسان أقدامهم فهم بين مراقبة، وشهود حياتهم يبرق عليها سنا من صدق المعرفة وتمام الاستسلام وتوبة هؤلاء تجسيء من هبوطهم عن المستوى الذي يجب أن يبقوا مخلقين فيه.

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم - درجات المؤمنين في الجنة فقال: " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم !! قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال : بلى والذي نفسي بيده هم رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين " (44) « (45).

فهؤلاء الرجال المؤمنون عليهم أن يبقوا في المقام الذي هم فيه وإلا وجبت عليهم التوبة إن هم نزلوا دون ذلك.

والعباد في دوامهم على التوبة أقسام، وقد ذكر الغزالي أن التائبين في التوبة أربع طبقات: فقلل: "اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات:

(43) المرجع نفسه ص: 211 - 212.

(44) صحيح البخاري كتاب الخلق رقم 3016 واللفظ له، ومسلم كتاب الجنة رقم 5058. وأحمد باقي مسند المكثرين رقم 8116.

(45) المرجع نفسه ص: 212 - 213.

الطبقة الأولى: أن يتوب العاصي، ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره، ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه، إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة، فهذا هو الإستقامة على: التوبة، وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات، واسم هذه التوبة: التوبة النصوح، واسم هذه النفس الساكنة: النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "سبق المفردون قالوا: وما المفردون يا رسول الله قال: المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا..." (46) «(47).

الطبقة الثانية: وذكر الغزالي الطبقة الثانية فقال: "تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات، وترك كبائر الفواحش كلها، إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يتلى بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزمًا على الإقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه، وندم وتأسف، وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التي تعرضه لها، وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة، إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد" (48).

أما الطبقة الثالثة: فقال عنها الغزالي: "أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه الشهوات في بعض الذنوب، فيقدم عليها عن صدق، وقصد الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات، وتارك جملة من الذنوب مع القدرة، والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة، أو الشهوات، وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها، وكفاه شرها هذه أمنيته في حال قضاء الشهوة عند الفراغ يتسدم ويقول ليتني لم أفعله، وسأتوب عنه، وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى، ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى: النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن

(46) مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم 4834، والترمذي كتاب الدعوات رقم 3520 وقال هذا حديث حسن غريب واللفظ له.

(47) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين 43/4.

(48) المرجع نفسه 44/1.

اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٩﴾. فأمره من حيث مواظبته على الطاعات، وكرهته لما تعاطاه مرجو فعسى
اللَّهُ أن يتوب عليه" (50).

أما الطبقة الرابعة: فهي كما قال الغزالي: "أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة، ثم يعود إلى
مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهمك
انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصيرين وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة
من الخير، ويخاف على هذا سوء الخاتمة، وأمره في مشيئة الله، فإن خُتم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر
لها، وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار، ولو بعد حين، ولا
يستحيل أن يشملهم عموم العفو بسبب خفي لا نطلع عليه" (51).

فليحرص العبد على أن يكون من أهل الطاعات، ويجتهد لبلوغ أحسن الطبقات، لينال
أعلى الدرجات عند الله سبحانه وتعالى، وقد غفل عن نيل هذه الدرجات ناس كثيرون غرقهم
أمانيتهم وغرهم بالله الغرور، فركنوا إلى المعصية معتقدين جهلا منهم - ألا رقيب ولا حسيب،
وحسبوا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتكاثر في الأموال والأولاد، فسحروا من المحدثين واستهزأوا
بالباطنيين ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴾ (52).

فهلا تاب هؤلاء وثابوا إلى رشدكم قبل فوات الأوان وهم في هذا الزمن أصناف وأنواع منهم:
1- مؤلفو كلمات الأغنية الماجنة الداعية إلى إثارة الغرائز الكامنة وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين
فالله يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (53).

2- المغنون، والمغنيات، والمطربون، والمطربات، ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله،
ضاربا بالأخلاق عرض الحائط. فالأغنية مصعد للربح المادي، على حساب الربح الأخلاقي ألا ما

(49) التوبة : الآية 103.

(50) المرجع نفسه 44/1 - 45.

(51) المرجع نفسه 45/1.

(52) المطففين: الآية 32.

(53) النور: الآية 19.

أرخصها من تجارة ! إنها البوار والخسران قال تعالى: ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾ (54).

3- المعينون على بث هذا النوع من الأغاني، بكل ما أوتوا من وسائل وجهود، للدعاية لها ولأصحابها.

إن خطر هذه الأغاني أصبح واضحاً في إفساد الشباب فهم في سباق، وتنافس لمعرفة كل صغيرة، وكبيرة عن المغنين، والمغنيات، واقتناء أكبر عدد من إنتاجهم، وفي ذلك تضييع للوقت وتبديد للجهد فيما لا طائل تحته.

لقد ارتفعت أصوات هؤلاء المطربين في البيوت، والمحلات -إلا من رحم الله- مدوية مقضّة مضاجع الجيران مزيلة حجاب الحياء بين الإخوان.

أهذه هي الكلمة؟ أهذا دورها؟ أهذا هو الإنسان الذي خلقه الرحمن، وعلمه البيان، وميزه بالعقل على الحيوان؟

4- نقص القادرين على التمام -وهم في هذه الحياة كثيرون- ممن في وسعهم إتمام العمل دنيوياً كان أو أخروياً بما زودهم الله من مواهب وإمكانات مادية، ومعنوية إلا أنهم مقصرون ويحتجون بقول الله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ (55). فهل استنفذوا هذا الوسع وبذلوه؟ ومن الناس من يقارن نفسه في إنجاز الأعمال بمن هو دونه وذلك خطأ بقول الشيخ الغزالي: "وإذا أحبيبت أن تقارن نفسك بغيرك فلا تنظر إلى الدهماء ثم تقول: أنا أفضل حالاً بل انظر إلى العليّة ثم قل: لماذا أقصر عنهم؟ يجب أن أمضي في الطريق ومن سار على الدرب وصل.

كثير من الأذكياء وفقهم في منتصف الطريق أو في مبادئه أنهم صحبوا نفراً من القاصرين، والعجزة، فغرمهم ذلك بأنفسهم وستر ما كمن فيهم من نقص، أو خفي عنهم ما يطبقونه من درجات الكمال لو نشطوا . وهذه الصحبة وبال على الإنسان لأنها قيدت الهمة، وثلت الطموح،

(54) البقرة: الآية 16.

(55) البقرة: الآية 285.

ولذلك ينصح ابن عطاء الله فيقول: "لا تصاحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله" (56) والأمثلة غير هذه كثيرة في واقع الناس، ممن هم عن الصراط ناكبون وعن أنفسهم راضون. فليدرك هؤلاء وأولئك أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فليفروا إليه مسرعين وليذكروه في كل وقت وحين، فهو المعين على التوبة والموفق إليها ولا توبة للعبد إلا بعد توبة الله عليه، قال تعالى عن الثلاثة الذين خَلَفُوا: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (57) وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (58).

3-الركن الثالث: الذنب المتوب منه.

لقد خلق الله الخلق، وفضل منهم النوع البشري على سائر المخلوقات: بما بين له من طرق الهداية، والحث على السير في نهجها، وبما بين له من طرق الغواية، والتحذير من سلوك درهما. قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (59) فمن زكى النفس وربها على ما يرضي الله، وجنبها مواطن الهلاك فقد فاز، ومن دساها وأطلق لها العنان تأتمر بأوامر الشيطان فقد خسر الدنيا، والآخرة ذلك هو الخسران المبين، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (60) والله - سبحانه وتعالى - عالم بمن خلق؛ فقد اصطفى الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وعصمهم من عمل السيئات، وجعل من دونهم من البشر - يخلطون العمل الصالح بالسيئ - وهي حكمة الله في خلقه - ولا يصرون على المعصية، بل يعودون إلى رحمهم مستغفرين تائبين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

(56) الشيخ محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ص: 151 - 152.

(57) التوبة: الآية 119.

(58) طه: الآية 80.

(59) الإنسان: الآية 03.

(60) الشمس: الآيات 07 - 10.

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ﴿٦١﴾.

إن المعصية ملازمة للعبد - وإن زكى نفسه - فلن يخلو من ذنب يقترفه، والله أعلم به فعليه أن يعود إليه طالبا العفو قال تعالى: ﴿ هو أعلم بكم إذا أنشأكم من الأرض وإذا أنتم أجتة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ (٦٢).

وأصل المعصية كما ذكر ابن القيم، ينحصر في ثلاثة أشياء هي:

« تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية، وهي الشرك، والظلم، والفواحش، فغاية التعلق بغير الله شرك، وأن يدعى مع الله آخر، وغاية طاعة القوة الغضبية: القتل وغاية طاعة القوة الشهوانية: الزنا ولهذا جمع الله بين الثلاثة في قوله: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون ﴾ (٦٣) " (٦٤).

والذنب المرتكب دون قصد مخالفة الله في أمره ونهيه لهو مما ترجى مغفرته، وعفو الله على مرتكبه وفي هذا المعنى يقول ابن القيم - رحمه الله -: " لما علم السيد أن ذنب عبده لم يكن قصدا لمخالفته، ولا قدحا في حكمته علّمه كيف يعتذر إليه ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ (٦٥) فالعبد لا يريد بمعصيته سيده، ولا الجرأة على محارمه ولكن غلبان الطبع، وتزيين النفس، والشيطان، وقهر الهوى، والثقة بالعفو، ورجاء المغفرة... فله كم في تقدير الذنب من حكمة وكم فيه - مع تحقيق التوبة - من مصلحة ورحمة " (٦٦).

(٦١) آل عمران، الآية ١٢٥.

(٦٢) النجم : الآية ٣١.

(٦٣) الفرقان : الآية ٦٨.

(٦٤) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص : ١٠٦.

(٦٥) البقرة: الآية ٣٦.

(٦٦) المرجع نفسه : ص : ٨٨.

إن ارتكاب الذنب ليس بالأمر العجيب، بل العجب ألا يُتبع الذنب بتوبة تزيل أثره، وتبقي العبد على صلة بربه وإن عصى، فما الذنوب التي يتوب الناس منها؟

الذنوب التي يتوب الناس منها:

تصحيح :
إن حرية الإنسان، واختياره -فيما يأتي ويذر- مقررة في شرع الله، وهذا المبدأ يُحمِّل الإنسان تبعات أعماله، فيسأل عما فعل -بعد أن تبين الرشد من الغي- وذلك ما دلت عليه كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾⁽⁶⁷⁾ وقوله: ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى ﴾⁽⁶⁸⁾ وقوله: ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾⁽⁶⁹⁾ وقوله: ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾⁽⁷⁰⁾.

إذا تقرر هذا فما على الإنسان إلا أن يسعى جاهدا -بما زوده الله من قدرة- ليميز الخبيث من الطيب، والخير من الشر، والخطأ من الصواب -وهو على ذلك قادر- إن لم يعطل بنفسه ما زوده الله به من وسائل التمييز.

وأول ما يطالب الإنسان بالتوبة منه:

1- الكفر:

وهو أكبر ذنب يرتكبه الإنسان، إذ ليس بعده ذنب، وهو محبط للعمل، قال تعالى: ﴿ لمن أشركت ليحبطن عمله وتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾⁽⁷¹⁾ وقال: ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾⁽⁷²⁾.

(67) المدثر : الآية 38.

(68) النجم : الآيتان 38 - 39.

(69) الأنعام : الآية 166.

(70) فصلت: الآية 45.

(71) الزمر : الآية 63.

(72) الفرقان: الآية 23.

وقد كتب الشيخ الغزالي - رحمه الله - تحت عنوان مما يتوب الناس؟ فقال : « أما من عدا المؤمنين بالله الأحد من مشركين، ومعطلين، فتوبتهم لا تصلح إلا إذا آمنوا بالله - جل شأنه - وتركوا المعاصي التي كان يؤزمهم عليها جحدهم للألوهية، أو اعتقادهم في شركاء مع الله، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿ والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديا، أو نصرانيا، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار ﴾ (73) ... وقد حضَّ الله المثلثين على التوبة فقال: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ (74) « (75).

2- التوبة مما دون الكفر:

وهي الذنوب التي يغفرها الله لعباده المؤمنين إن هم تابوا وأنابوا إليه قال تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (76). والمسلم قد تحمله النفس، والشيطان فيأتي من الذنوب ما لا يرضي الرحمن، وما لا يفيق مع الإيمان، فعليه ألا يتهاون في الأوبة إلى ربه ليجنبه عذاب ناره يقول الشيخ الغزالي: « وتوبة المسلمين أنفسهم تكون من الذنوب التي لا يجمل بهم ارتكابها لأنها تنافي مقتضى الإيمان، فإذا زلهم الشيطان إلى إثم فإن ذلك يحسب عليهم ليؤاخذوا به فإن الله قد أعد النار للكافرين، ولكن المسلمين يدخلونها إذا تهاونوا في الذنوب ولذلك يقول لنا محذرا: ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله

(73) مسلم: كتاب الإيمان، رقم 218. واللفظ له.

(74) المائدة : الآية 73.

(75) الشيخ محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الاسلام. ص : 206 - 210.

(76) النساء : الآية 47.

والرسول لعلكم ترحمون، سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» (77) « (78).

إن التائب الحق هو الذي يتخلص من الذنوب التي تنحصر فيها أجناس المحرمات يقول ابن القيم: "ولا يستحق العبد اسم التائب حتى يتخلص من اثني عشر جنسا من الذنوب مذكورة في كتاب الله عز وجل - هي أجناس المحرمات:

الكفر، والشرك، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والإثم، والعدوان، والفحشاء، والمنكر، والبغي، والقول على الله بلا علم، واتباع غير سبيل المؤمنين فهذه الإثنا عشر جنسا عليها مدار كلما حرم الله وإليها انتهاء العالم، وقد يكون في الرجل أكثرها أو أقلها أو واحدة منها، وقد يعلم ذلك، وقد لا يعلم ذلك، فالتوبة النصوح هي بالتخلص منها، والتحصن، والتحرز، من مواقعها وإنما يمكن التخلص منها لمن عرفها" (79).

- و يترتب على هذه المعاصي أخطار ومضار كثيرة (80).

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تنبه، وتحذر من مخاطر الذنوب منها قوله تعالى: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ (81). وقوله: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير ﴾ (82).

والمعاصي هي سبب الطرد من رحمة الله فال تعالى: ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

(77) العمران : الآيات 131 - 132 - 133.

(78) المرجع نفسه، ص: 208.

(79) ابن القيم، مدارج السالكين 363/4 - 364.

(80) لمعرفة أخطار الذنوب، يرجع إلى كتاب : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم.

(81) الروم : الآية 40.

(82) الشورى : الآية 28.

يفعلون»⁽⁸³⁾. ومن طرد من رحمة الله كان مستحقاً لعقابه قال تعالى: ﴿من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾⁽⁸⁴⁾.

ومرتكب الذنوب يعيش حياة الضيق، والحرج فلا تسعه أرض ولا سماء - بل لا تسعه نفسه - ولا يهدأ له بال أو يحسن له حال مادام بعيداً عن شديد الحال. وقد أخبرنا الله عن حال الثلاثة المخلفين فقال: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾⁽⁸⁵⁾.

وقد أجمل ابن القيم مخاطر الذنوب في كتابه الفوائد فقال: "قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وربّه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحو البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، واليأس، والذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب، ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة وكسف البال... تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار وأضداد هذه تتولد عن الطاعة"⁽⁸⁶⁾.

(83) المائدة : الآيات 80 - 81.

(84) البقرة : الآية 80.

(85) التوبة : التوبة 119.

(86) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص: 47.

ألا ما أفدحها من أخطار ترهب العبد ليتجنب المعاصي، ويعود إلى الله بتوبة صادقة يصحبها مع الإيمان بالله- عمل صالح يملأ حياة الإنسان براء، وإحساناً، فغفران الذنوب متوقف على ذلك قال تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾⁽⁸⁷⁾ وعلى المؤمن ألا يغتر بكرم الله ويأمن مكره، قال تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾⁽⁸⁸⁾ ويظن أنه سيدخل الجنة من غير عمل صالح قال تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون﴾⁽⁸⁹⁾ وإحسان الظن بالله يتبعه إحسان العمل. والتوبة هذا المعنى ليست كلمات تردد بل هي عمل جاد لا يصح إلا بالشروط التي وضعها الشرع.

(87) طه: الآية 80.

(88) الانفطار: الآية 06.

(89) الزعفر: الآية 72.

المبحث الثاني

شروط التوبة

(الإقلاع عن الذنب، الندم، العزم على عدم العودة، رد المظالم).

ما هي هذه الشروط؟

قبل الحديث عن شروطها العملية - كما بينها العلماء - أتعرض لتعريف الشرط. فما هو الشرط؟

تعريف الشرط: عرفه ابن قدامة المقدسي⁽¹⁾ فقال: " هو ما يلزم من انتفائه انتفاء الحكم كالإحصان مع الرجم، والحول مع الزكاة..."

والشرط: عقلي، ولغوي، وشرعي .

فالعقلي كالحياة للعلم، والعلم للإرادة .

واللغوي: كقوله: إذا دخلت الدار فأنت طالق.

والشرعي: كالطهارة للصلاة، والإحصان للرجم .

وسمي شرطاً: لأنه علامة على المشروط يقال الشرط نفسه للأمر إذا جعل عليه علامة له، ومنه

قوله تعالى: ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾⁽²⁾ أي علاماتها⁽³⁾.

كما عرفه وهبة الزحيلي فقال: "الشرط هو ما يتوقف عليه وجود الشيء، وكان خارجاً عن

حقيقته"⁽⁴⁾.

(1) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجعافيلي المقدسي، موفق الدين من كبار فقهاء الحنابلة ومن أشهر مؤلفاته المغني في الفقه الحنبلي، مات بدمشق سنة 620هـ/ 1223م.

(2) نويهض عادل، معجم المفسرين 304/1.

(3) محمد: الآية 19.

(4) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، ص: 57.

(5) وهبة الزحيلي الفقه الإسلامي وأدلته، 54/1.

فصحة التوبة متوقفة على شروط بينها العلماء، قال النووي⁽⁵⁾ في كتاب رياض الصالحين: "قلل العلماء التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبداً، فإن فقدت أحد الثلاثة لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها"⁽⁶⁾. وقد ذكر صاحب السراج السالك- شرح أسهل المسالك- شروط التوبة نظماً فقال:

وشروطها من ذنبه أن يقلعها من فوره والعزم أن لا يرجعها
ورد الظلم ممكن والندم وباجتناب الإثم يحى اللمم

فأول الشروط الإقلاع عن الذنب إذا كان متلبساً بمعصية من المعاصي كما إذا كان يشرب خمراً، وخطر بقلبه أن يتوب منه فلا يجوز منه التماذي حتى يفرغ ما بين يديه من الخمر المعد للشرب بل الواجب عليه إذا ترك شربه رأساً"⁽⁷⁾.

يتضح مما سبق من كلام العلماء عن شروط التوبة أنها أربعة:

أولاً: الإقلاع عن الذنب.

إن إقرار الذنب واجترار السيئات حقيقة مقررة في حياة العبد لا ينفك عنها إلا من عصمه الله، واجتباؤه من الأنبياء والرسل، فعن أنس رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون".

(5) هو يحيى ابن شرف ابن مري بن حسن الشافعي النووي أبو زكرياء ولد سنة 631هـ بقرية نوى في حران، طلب العلم وهو في السابعة من عمره على مشايخ نوى وما حولها ولما بلغ 19 عشرة قدم إلى دمشق، قال الذهبي: "ولزم الاشتغال ليلاً ونهاراً نحو 10 سنين حتى فاق الأقران فتقدم على جميع الطلبة وحاز قصب السبق في العلم والعمل"، من مؤلفاته رياض الصالحين، الأذكار، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج، المنهاج في فقه الشافعية، والمجموع شرح المذهب في الفقه المقارن ولم يكمله، توفي -رحمه الله- في نوى سنة 676هـ.

العبر للذهبي 334/3 الشذرات 354/5 البداية والنهاية 278/13.

(6) يحيى الدين أبي زكرياء النووي، رياض الصالحين من كلام سيّد المرسلين. ص: 77.

(7) السيّد عثمان بن حسين بري الجعلي المالكي، سراج السالك، شرح أسهل المسالك، 54/1.

يقول محمد جمال الدين القاسم الدمشقي: "التوبة هي ترك الذنب، والإقلاع عنه بعد ارتكابه وذلك واجب على الفور، والدوام، ومعرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الإيمان، والعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان".⁽⁸⁾

فالمؤمن الحق هو من علم ضرر المعاصي، ودعاه ذلك إلى تركها، والابتعاد عن مسبباتها، وما جعل بعض الناس يصرون على المعاصي إلا جهلهم بهذا المبدأ الإيماني. كما أن النجاة -بعد الإيمان بالله- تتمثل في ترك الذنوب والمصارعة إلى التوبة.

يقول الإمام يحيى بن حمزة اليماني: "إن ترك الذنوب والإنابة إلى الله واجب، وذلك لا يكون إلا بالتوبة على الفور وهذا أمر لا يستراب فيه، ولا يقع فيه شك، لأن معرفة كون المعاصي مهلكات للنفوس أمر ناجز لا محالة والمزيل له لا بد من كونه على الفور، ولأن الموت متوقع في كل حالة لا يؤمن هجموه، والمعاصي هي السموم القاتلة، والتوبة هي الشفاء من داء المعاصي والمزيلة لعقابها فلا بد من الإسراع فيها خوفاً من حيلولة الموت فيحصل العطب بهلاك العقاب".⁽⁹⁾

والمؤمن هو من عمل بالأسباب لاجتناب العقاب، ومن الأسباب التي تحمل الناس على ترك الذنوب -كما ذكر الإمام حمزة اليماني- ما يأتي:

1- "ذكر ما في القرآن من الآيات المخوِّفة للمذنبين، والعاصين وما ورد من الأخبار، والآثار ...

2- حكايات الأنبياء، والسلف الصالح وما جرى عليهم من المصائب من أجل الذنوب فذلك شديد النفع ظاهر الوقع في قلوب الخلق مثل آدم وحواء في عصيانهما، وخروجهما من الجنة.

3- أن يقرر عندهم تعجيل العقوبة في الدنيا، وأنه متوقع في الدنيا على مقارفة الذنوب... فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه".⁽¹⁰⁾

(8) الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، ص: 338.

(9) الإمام يحيى بن حمزة اليماني، كتاب تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب، نقلاً عن إحياء علوم الدين 5/4.

(10) أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن رقم 4012، وأحمد كتاب باقي مسند الأنصار رقم 21379.

4- ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر، والزنى، والسرقه، والقتل، والغيبه، والنميمة، والكبر، والحسد، وذلك مما لا يمكن حصره، وذكره مع غير أهله وضع للدواء في غير موضعه فينبغي أن يذكر لكل واحد ما يحتمله فعن أبي هريرة قال : "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم- قال علمني شيء ولا تكثر عليّ لعلني أعيه قال : لا تغضب فردد ذلك مرارا كل ذلك يقول لا تغضب" (11).

إلى غير ذلك من العلم بالأحوال حتى يكون الكلام نافعا والمواعظ زاجرة " (12).

وأكبر واعظ للمؤمن ذكر الموت والبلى وأنه سيلقى ربه ويحاسبه على ما ارتكب من الذنوب قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (13).

ثانيا: الندم.

والندم هو الشرط الثاني من شروط التوبة بل هو التوبة نفسها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- " الندم توبة" (14) فلا يكفي الإقلاع عن الذنب في صحة التوبة بل لابد من ندم يعصر القلب فتحدر الدموع ماحية آثاره، وقد ذكر الإمام الغزالي ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن وقع منه ذنب فقال : " اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم. والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده... فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني وهو: أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فالحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح... فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ... وكذلك يضمر قلبه الخيرات للمسلمين، والعزم على الطاعات.

(11) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، رقم 1943. ومالك الجامع رقم 1408

(12) المرجع نفسه، ص : 278 - 279.

(13) البقرة : الآية 280.

(14) أخرجه أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة رقم : 3387، وابن ماجه كتاب الزهد رقم : 4242.

وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم، والاستغفار فيقول: رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي، وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار (15).

وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات، وأنواع العبادات، وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أُتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوا. أربعة من أعمال القلوب، وهي التوبة أو العزم على التوبة وحب الإقلاع عن الذنب، وتخوف العقاب عليه، ورجاء المغفرة له، وأربعة من أعمال الجوارح وهي: أن تصلي عقب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهم سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم تتصدق بصدقة ثم تصوم يوما (16).

فالندم من موجبات التوبة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم" (17). وقال -صلى الله عليه وسلم-: "إن العبد ليدنس الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يكون نصب عينه تائبا حتى يدخل الجنة" (18).

(15) ومنها سبب الاستغفار، فعن شداد بن أوس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: سبب الاستغفار (اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، قال: ومن قالها من النهار موقنا بما فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بما فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة.

رواه البخاري كتاب الدعوات رقم 5831 واللفظ له. ومسلم كتاب الاستعاذة رقم 5427. أحمد مسند الشاميين رقم 16488. والترمذي كتاب الدعوات رقم 3315. النسائي كتاب الاستعاذة رقم 5427. وابن ماجه كتاب الدعاء رقم 3862. ومنها عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق أنه قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم". رواه البخاري كتاب الأذان رقم 790. مسلم كتاب الذكر والدعاء رقم 4876، أحمد مسند العشرة المبشرين رقم 08. النسائي كتاب السهو رقم 1285. الترمذي كتاب الدعوات. رقم 3454، ابن ماجه كتاب الدعاء. رقم 3825.

ومنها عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو يقول: "رب أعني، ولا تعن علي، وانصرني، ولا تنصر علي، وانكر لي ولا تنكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكارا، لك ذكرا، لك رهبا، لك مطوعا، لك مخبئا، إليك أواها منيا.

رواه الترمذي كتاب الدعوات رقم 3474، وأبو داود كتاب الصلاة رقم 1291، وابن ماجه كتاب الدعاء رقم 3820، وأحمد مسند بني هاشم رقم 1893.

(16) الإحياء 47/46/4

(17) هذا جزء من حديث قدسي. انظر: مسند أحمد كتاب مسند الأنصار رقم 20529.

(18) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن المبارك ابن فضالة عن الحسن مرسلا، الإحياء 14/4.

الشرط الثالث: العزم على عدم العودة.

إن التوبة عمل جاد يتطلب عزيمة قوية تجعل التائب لا يقترب الذنب مرة أخرى، بل يستخر كل جهوده لعمل الصالحات قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ، وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾. يقول الدكتور أحمد الشرباصي: «وليس التوبة كلمة تقال، أو عبارة تردد، ولكنها تتحقق بعدة أمور منها:

أن يشعر الإنسان بالندم على ارتكاب الخطأ... وأن يترك المعصية، ويتعد عنها، وأن يعزم على عدم الرجوع إليها، وأن ينتقل من مجال الخطأ إلى حقل العمل الصالح حتى يكون بعد التوبة أفضل مما كان عليه قبلها، وألا ينوي الإصرار على أي ذنب مهما كان صغيراً لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (19) " (20).

وإذا تكرر الذنب فعلى العبد أن يجدد التوبة، ولا يضره معاودة الذنب، إذ من طبعه العودة إلى الذنوب، ومن صفات الرب العودة إلى المغفرة ففي الحديث القدسي: "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم" (21).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يحكي عن ربه عز وجل- "قال: أذنب عبدي ذنباً فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي ربي اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي ربي اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك" (22).

(19) آل عمران: الآية 135.

(20) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن 56/2.

(21) مسلم كتاب البر والصلة والآداب، رقم 4674.

(22) البخاري كتاب التوحيد رقم 6953. وأحمد باقي مستند المكثرين رقم 7607.

إن التائب الحق: هو الذي لا يصر على المعصية، وينظر إلى ما صدر منه من ذنب خروج عن الصراط السوي، فلا يرضى بالبقاء عليه، بل يعزم على الإقلاع عنه، وعدم العودة إليه يقول الشيخ الغزالي - رحمه الله - تحت عنوان الخطيئة في حياة البشر: "الواقع أن المسلم لا يطيق عصيان الله ولا يرضى به، ولا يبقى عليه إن وقع فيه، بل إن ما يعقب المعصية في نفسه من غضاضة، وندامة يجعل عروضها له شبه مصيبة فهي تجيء غالبا غفلة عقل، أو كلال عزم، أو مباغطة شهوة، وهو في توقيره لله وحرصه على طاعته يرى ما حدث منه منكرا يجب استئصاله... ولو بقي المسلم طول حياته ينقي عمله من هذه الأخطاء التي تهاجمه، أو من هذه الخطايا التي يقع فيها ما خلعه ذلك من ربة الإسلام، ولا حرمه من غفران الله" (23)، وللمذنب - حين اقتراف الذنب - حالتان بينهما صاحب المنار فقال:

الحالة الأولى: غلبة الباعث النفسي من الشهوة والغضب على الإنسان حين يغيب عن ذهنه الأمر الإلهي فيقع في الذنب، وقلبه غائب عن الوعيد غير متذكر للنهي وإذا تذكره يكون ضعيفا كنور ضعيف في ظلمة ذلك الباعث المتغلب ثم لا يلبث أن يزول أو يختفي، فإذا سكنت شهوته أو سكنت عنه غضبه، وتذكر النهي والوعيد ندم، وتاب، ووقع في نفسه في أشد اللوم والعتاب، وذلك ضرب من ضروب العقاب، وصاحبه جدير بالنجاة في يوم المآب.

الحالة الثانية: أن يقدم المرء على الذنب جريئا عليه متعمدا ارتكابه علما بتحريمه مؤثرا له على الطاعة بتركه لا يصرفه عنه تذكر النهي، والوعيد عليه فهذا هو الذي قد أحاطت به خطيئته حتى أثر طاعة شهوته على طاعة الله، ورسوله فصدق عليه قوله تعالى: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (24) ... فالإصرار على العصيان مع عدم استشعار الخوف، والندم، لا يجتمع مع الإيمان الصحيح بعظمة الله، وصدقه في وعده ووعيده" (25).

رابعاً: رد المظالم.

يرتكب العبد - في مسيرة حياته - معاصي، وأخطاء - متعمداً، أو جاهلاً - فيتسبب بذلك في إيذاء غيره، وإلحاق الضرر به: باليد، أو اللسان، أو الجنان.

(23) محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ص: 60.

(24) البقرة: الآية 80.

(25) الشيخ محمد رشيد رضا، تفسير المنار المجلد الرابع، ص: 432-433.

والعبد التائب إلى ربه لا يرضى أن يبقى مقيماً على ما صدر منه من مظالم بل يسعى بكل ما أوتي من عزم أن يردّها إلى أصحابها حتى تكمل توبته، وينال رضى ربه فعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - "من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار، ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه" (26).

ومظالم العباد إما في النفوس، أو الأموال، أو الأعراض، أو القلوب، فكيف ترد هذه المظالم؟

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي: "أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الديّة ووصولها إلى المستحق إما منه أو من عاقلته، ... وإن كان عمداً موجبا للقصاص فبالقصاص، فإن لم يُعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم، ويحكمه في روحه، فإن شاء عفا عنه، وإن شاء قتله، ولا تسقط عهده إلا بهذا، ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى، أو شرب، أو سرق، أو قطع الطريق، أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى، بل عليه أن يتستر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة، والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين" (27).

أما ما تعلق من المظالم بالمال فقد قال الإمام الغزالي: "إن كان المتناول مالا بغصب، أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبس كترويح زائف أو ستر عيب من المبيع، أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده، فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجه بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالماً مطالباً به إذ يستوي في الحقوق المالية الصبي، والبالغ، وليحاسب نفسه على الحيات والدوانق من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة، وليناقش قبل أن يُناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فإن حصل مجموع ما عليه بظن غالب، ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحداً واحداً، وليطف في نواحي العالم، وليطلبهم، وليستحلهم، أو ليؤد حقوقهم، وهذه التوبة تشق على الظلمة، وعلى التجار فإنهم لا يقدرّون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم، ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له

(26) رواه البخاري كتاب المظالم والغصب رقم 2269، وأحمد باقي مسند المكثرين رقم 10169.

(27) الإحياء 36/4.

طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة، فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في ردّ المظالم، وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف ؟ وربما يكون الأجل قريباً فينبغي أن يكون تشميره للحسنات، والوقت الضيق أشد من تشميره الذي كان في المعاصي في متسع الأوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف له مالكا معيناً وما لا يعرف له مالكا فعليه أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد، ويتصدق بذلك المقدار" (28).

ذلك ما يتعلق برد المظالم في النفوس والأموال.

أما ما يتعلق بالأعراض، والقلوب فيقول حجة الإسلام: "أما الجناية على القلوب بمشاهدة النسل بما يسوؤهم أو يعيبهم في الغيبة فيطلب كل من تعرض له بلسان أو أذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحداً واحداً منهم ومن مات، أو غاب فقد فات أمره، ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضاً في القيامة، وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفارته، وعليه أن يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي، وربما لو عرف ذلك وكثر تعديه عليه لم تطب نفسه بالإحلال وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته، أو يحمله من سيئاته" (29).

ولا يشترط في الجناية على القلوب والأعراض أن يذهب التائب إلى من اغتابه أو قذفه، ويذكر له ذلك ليستسمحه وهذا ما رجحه الإمام ابن تيمية، وهو ما ذهب إليه تلميذه ابن القيم وذكر نصه الشرباصي في موسوعة أخلاق القرآن فقال: "لا يشترط الإعلام بما نال من عرضه، وقذفه واغتيابه بل يكفي توبته بينه، وبين الله، وأن يذكر المقتاب، والمقذوف في مواقع غيبته، وقذفه بضد ما ذكره به من الغيبة فيبدل غيبته بمدحه، والثناء عليه وذكر محاسنه، وقذفه بذكر عفته، وإحصائه ويستغفر له بقدر ما اغتابه" (30).

وهذا ما أميل إليه لموافقته للطبع الإنساني والأخلاق الإسلامية الداعية إلى الستر والحفاظ على كرامة الإنسان.

(28) المرجع نفسه، ص: 37.

(29) المرجع نفسه، ص: 37-38.

(30) موسوعة أخلاق القرآن، ص: 56.

المبحث الثالث

حكم التوبة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

حكم التوبة : الوجوب وهي "فرض عين في حق كل شخص" ⁽¹⁾ وذلك ما دل عليه الكتاب والسنة النبوية:

1- فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ ⁽²⁾ وقوله: ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ ⁽³⁾، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾ ⁽⁴⁾.

2- ومن السنة:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : "والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة" ⁽⁵⁾.

وعن أبي بردة قال سمعت الأغر وكان من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يحدث ابن عمر قال: "يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة" ⁽⁶⁾.

جاء في دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : "وقد أجمعت الأمة على وجوبها لا فرق في ذلك بين الصغائر، والكبائر الظاهرة، والباطنة، كالحقد، والحسد" ⁽⁷⁾. وقبولها ليس بالواجب على الله يقول القرطبي: "قبول التوبة ليس واجبا على الله من طريق العقل... لأن من شرط الواجب أن يكون أعلى رتبة من الموجب عليه، والحق سبحانه خالق الخلق، ومالكهم، والمكلف لهم فلا يصح أن يوصف بوجوب شيء عليه تعالى عن ذلك" ⁽⁸⁾.

وإذا كان حكم التوبة : هو الوجوب فهل يكون ذلك على الفور، أم على التراخي ؟

⁽¹⁾ الإحياء، 9/4.

⁽²⁾ النور: الآية 31.

⁽³⁾ هود: الآية 52.

⁽⁴⁾ التحريم: الآية 8.

⁽⁵⁾ رواه البخاري كتاب الدعوات رقم 5832 واللفظ له. والترمذي كتاب تفسير القرآن رقم 3182. وابن ماجه كتاب الأدب رقم 3860. وأحمد كتاب باقي مسند المكثرين رقم 7461.

⁽⁶⁾ رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء رقم 4871. وأحمد مسند الشاميين رقم 17173.

⁽⁷⁾ محمد بن علان الصديقي، الشافعي الأشعري المكي دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين 80/1.

⁽⁸⁾ تفسير القرطبي، 90/5. تفسير المنار 442/4.

من المعلوم أن التوبة المشروعة هي التي يترك فيها التائب الذنب، ولا يرجع إليه، بل يتحتم عليه المبادرة إلى الترك، ولا يباح له التأخر، جاء في موسوعة أخلاق القرآن: " كل تأخير للتوبة يُعدّ استمراراً في الذنب، والرضى به، ولذلك كان من المأثور قولهم: " العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الطعام إذا حضر ضيفاً وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب " (9).

فالتوبة إذن واجبة على الفور لا مجال فيها للتأخير، والتسويق، وذلك ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ: إِنِّي تَبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (10).

والمراد بالزمن القريب ما كانت التوبة فيه بعد ارتكاب الذنب حين تسكن ثورة المذنب ويعود إليه حلمه جاء في تفسير المنار: " والمراد بالزمن القريب الوقت الذي تسكن به تلك الثورة ويشوب إلى فاعِلِ السيئةِ حِلْمُهُ ويرجع إليه دينه وعقله " (11).

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالزمن هو ما كان قبل حضور الموت وحجتهم في ذلك الآية الثانية: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ فقد نفست قبول توبة الذين يتوبون إذا حضر أحدهم الموت .

وقد نفى الشيخ رشيد رضا هذه الحجة لهم فقال: " وليس ذلك بحجة لهم لأن الظاهر أن هذه الآية "إنما التوبة على الله..." بينت الوقت الذي تقبل فيه التوبة من كل ذنب حتماً، والآية الثانية بينت الوقت الذي لا تقبل فيه توبة مذنّب قط، وما بين الوقتين مسكوت عنه، وهو محل الرجاء، والخوف فكلما قرب وقت التوبة من وقت اقتراب الذنب كان الرجاء أقوى وكلما بعد الوقت بالإصرار وعدم

(9) موسوعة أخلاق القرآن، 60/2.

(10) النساء: الآيتان 17-18.

(11) تفسير المنار 440/4.

المبالاة والتسويق. كان الخوف من عدم القبول، وهو الأرجح، لأن الإصرار قد ينتهي قبل حضور الموت بالرّين، والختم، وإحاطة الخطيئة " (12).

وهذا هو الرّأي الأصوب : ففيه تزكية للنفس، بترغيبها في المسارعة إلى فعل الخيرات، والابتعاد عن السيئات والتسويق فالموت يأتي بغتة ومكر الله لا يُؤمن، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمْنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (13).

(12) المرجع نفسه، 4/440.

(13) الأعراف: الآية 98.

المبحث الرابع

الحكمة من مشروعية التوبة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

التوبة فضل من الله على عباده، هداهم إليه لعلمه بضعفهم في دفع أسباب ارتكاب المعاصي، وقنوطهم من رحمته- حين الإسراف على أنفسهم- فكان من حكمته سبحانه في شأن عباده أن شرع لهم التوبة.

وقد ذكر الشيخ رشيد رضا الحكمة من مشروعية التوبة أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿وكان الله

-علما حكيمًا﴾⁽¹⁾ فقال: "فمن علمه بشؤون عباده، ومصالحهم، وحكمته فيما شرعه لهم أن جعل التوبة بشرطها مقبولة حكما لأنه يعلم أنه لضعفهم لا يسلمون من عمل السوء، فلو لم يكن للعاصي توبة لفسد الناس، وهلكوا لأن من يعمل السوء بجهالة من ثورة شهوة أو سورة غضب يسترسل حينئذ في المعاصي والسيئات، ويتعمد اتباع الهوى، وخطوات الشيطان، لعلمه أنه هالك، على كل حال، فلا فائدة له من مجاهدة نفسه، وتزكيتها، أما وقد شرع الله تعالى بحكمته قبول التوبة فقد فتح لهم باب الفضيلة، وهداهم إلى محو السيئة بالحسنة...ومن حكمته أنه لا يقبل إلا التوبة النصوح دون حرركات اللسان بالاستغفار والإتيان ببعض المكفرات من الصدقات أو الأذكار مع الإصرار على الذنوب والأوزار، ومن ثم جمع الله في الآية السابقة، بين التوبة وإصلاح العمل"⁽²⁾.

-فليدرك العصاة- ممن اعتقدوا الهلاك بعد الإسراف في اجتراح السيئات أن الله قد تداركهم بلطفه وعفوه فشرع لهم التوبة.

فالنجاة في الرجوع إليه، والهلاك كل الهلاك في الابتعاد عنه، والتمادي في عصيانه قال تعالى:

﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾⁽³⁾ ولا سبيل إلى إدراك حكمته مشروعية التوبة، إلا إذا أحسن العبد الظن بربه، وجاهد النفس الأمارة بالسوء، وألزمها فعل الصالحات، وجنبها السيئات.

(1) النساء: الآية 17.

(2) المرجع نفسه 447/4. أحمد مصطفى المراغي تفسير المراغي 209/2.

(3) طه: الآية 80.

ومن أدرك حكمة مشروعية التوبة - وإن كثرت ذنوبه - أسرع إلى طلب العفو، وأنفق ما بقي من العمر فيما يرضي الله، وأتبع السيئات السابقة بحسنات لاحقة، فكان من الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

مناخج لبعض النائين في القرآن الكريم

المبحث الأول : توبة آدم عليه السلام.

المبحث الثاني : توبة يونس عليه السلام.

المبحث الثالث: توبة بني إسرائيل.

المبحث الأول

توبة آوم عليه السلام

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

النموذج الأول من التائبين في القرآن الكريم هو نبي الله وأبو البشرية آدم -عليه السلام-.
والحديث عنه سيدور حول قصة خروجه من الجنة، وتوبته في القرآن الكريم، والعبرة منها .

أولاً: قصة خروجه من الجنة .

وأحداثها - كما ذكرها القرآن، وشرحها المفسرون ⁽¹⁾ - تبدأ من أمر الله له بأن يسكن الجنة،
بعد أن خلق له حواء ليسكن إليها، وأباح لهما كل شيء في الجنة إلا الشجرة المحرمة قال الله تعالى:
﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ الْجَنَّةُ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴾ ⁽²⁾ . لكن إبليس أغراها بالأكل منها وقال لهما : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ
الشَّجَرَةِ أَنْ تَكُونَا مَلَكِينَ، أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ⁽³⁾ ، وقلل لآدم : ﴿ هَلْ أَدْرَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ
وَمُلْكٌ لَا يَبْلَى ﴾ ⁽⁴⁾ ﴿ وَقَاسِمَهَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ⁽⁵⁾ .

ولم يزل إبليس يعني آدم بأحلى الأمانى حتى نسي أنه عدوه اللدود الذي أبى أن يسجد له، وأن
الله حذره منه بقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ⁽⁶⁾ نسي آدم ما
عهد الله إليه من عدم الأكل من الشجرة فأكل منها قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى اللَّهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ
فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ ⁽⁷⁾ .

⁽¹⁾ تفسير الطبري، 229/1، وما بعدها

- 145-139/8.

⁽²⁾ الأعراف: الآية 18.

⁽³⁾ الأعراف: الآية 19. لم يوفق إبليس في ادعائه، فأنه فضل آدم على الملائكة بأمرهم بالسجود له ولم يخلد آدم بعد الأكل من الشجرة، فاخلد لله وحده.

⁽⁴⁾ طه: الآية 117.

⁽⁵⁾ الأعراف: الآية 20.

⁽⁶⁾ طه: الآية 114. ذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور -أثناء تفسير هذه الآية- معنى جميلاً فقال: وقد أسند ترب الشقاء إلى آدم خاصة دون زوجته إيجازاً لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون مع الإمام إلا أن شقاء الذكر أصل شقاء الأنثى.

⁽⁷⁾ طه: الآية 115.

وعصى آدم ربه بالأكل من الشجرة قال تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه قتاب عليه وهدي ﴾ (8).

وقد عاتب الله آدم على مخالفته فندم، وأخذ يعتذر فأخرجه هو وحواء من الجنة، وطرده إبليس قائلا : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ (9).

ثانيا : توبته .

إن توبة آدم كانت بتوفيق من الله عز وجل - إذا اجتباه، وهداه إليها قال تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه قتاب عليه وهدي ﴾ وألهمه كلما فقال ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات قتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (10).

وهذه الكلمات هي قوله تعالى : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (11).

وذلك وعد من الله الذي يعد بالمغفرة والفضل قال تعالى : ﴿ والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (12).

(8) طه: الآيتان 121-122.

(9) البقرة: الآية 35.

(10) البقرة: الآية 36.

(11) الأعراف: الآية 22. وهذا التفسير للشيخ محمد رشيد رضا.

(12) البقرة: الآية 267.

وقد فسر ابن كثير (13) هذه الكلمات (14).

وقد ذكرت قصة آدم -عليه السلام- في القرآن الكريم في مواطن عدة نوردتها حسب ترتيب السور على النحو الآتي :

1- سورة البقرة :

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (15).

2- سورة الأعراف :

قال الله تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا

(13) هو الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي، فخرج بالمعروف ولازمه من مصنفاته: التفسير، مسند الشيخين، اختصار علوم الحديث، مات سنة 777هـ.

تذكرة الحفاظ للذهبي. وملحق شيوخ صاحب التذكرة رقم 34 1508/4. ونوهض عادل معجم المفسرين 92/1.

(14) قال ابن كثير: قيل إن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" وروى هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن الأنس والحسن وقتادة... وقال أبو إسحاق السبيعي عن رجل من بني تميم قال: أتيت ابن عباس فسألته ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه قال: علم شأن الحج، وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع أخبرني من سمع سعيد بن عمرو في رواية قال أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمرو أنه قال: قال آدم: يا رب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبت علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من قبل نفسي قال: بلا شيء كتبت عليك قبل أن أخلقك قال: فكما كتبت علي فاغفر لي، قال: فذلك قوله تعالى "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه".

تفسير ابن كثير 141/1. وذكر روايات غير هذه لا يتسع المقام لذكرها. وانظر: القرطبي 324/1. والتفسير الرازي 19/3-20.

وقال الشيخ طاهر بن عاشور: ولهم في تعيين هذه الكلمات روايات أعرضنا عنها لقلّة جدوى الاشتغال بذلك. فقد قال آدم الكلمات فتاب عليه فلنهتم نحن بما ينفعنا من الكلام الصالح والفعل الصالح.

تفسير التحرير والتنوير 438/1.

(15) البقرة: الآيات 34.....37.

نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخضفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو لكم في الأرض مستقر ومتع إلى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون⁽¹⁶⁾ .

3- سورة طه :

قال الله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما . وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى . فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخضفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾⁽¹⁷⁾ .

وما صدر من آدم وغيره من الأنبياء . لا ينافي العصمة ، فالله قد عصم أنبياءه من ألا يخالفوا أمره ، ويقع منهم ما لا يتفق مع مقام النبوة .

وقد استدلل الفخر الرازي على عصمتهم بما جاء في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي

الظالمين ﴾⁽¹⁸⁾ .

⁽¹⁶⁾ الأعراف: الآيات 18.... 24.

⁽¹⁷⁾ طه: الآيات 112.... 120.

⁽¹⁸⁾ البقرة: الآية 123.

فقال : " والآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين :

الأول : أنه قد ثبت أن المراد من هذا العهد الإمامة ولاشك أن كل نبي إمام، فإن الإمام هو الذي يؤتم به والنبي أولى الناس .

وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقا فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقا فاعلا للذنب، والمعصية أولى .

الثاني : قال : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ فهذا العهد إن كان هو النبوة وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين، وإن كان هو الإمامة فكذلك لأن كل نبي لا بدو له أن يكون إماما يؤتم به وكل فاسق ظالم لنفسه فوجب ألا تحصل النبوة لأحد من الفاسقين " (19).

وقد وضع صاحب المنار مسألة عصمة آدم على طريقة السلف، والخلف فقال : "أما مسألة عصمة آدم فالجري على طريقة السلف يذهب بنا إلى أن العصيان والتوبة من المتشابه كسائر ما ورد في القصة، مما لا يركن العقل إلى ظاهره ولنا أن نقول إن تلك المخالفة صدرت منه قبل أن يدركه عزم النبوة كما قال جل شأنه " ففسى، ولم نجد له عزمًا " والاتفاق إنما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة، وقد يكون الذي وقع من آدم نسيانا فسمى تضخيما للأمر عصيانا والنسيان والسهو مما لا ينافي المعصية

وأما تفسير الآيات عن طريق الخلف في التمثيل فيقال فيه إن القرآن كثيرا ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعاني، كقوله تعالى : ﴿ يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ (20).

وليس المراد أن الله تعالى استفهم منها وهي تجاوبه وإنما هو تمثيل لستعها وكونها لا تضيق بالجرمين منها كثيرا " (21).

(19) الفخر الرازي 43/4.

(20) ق: الآية 30.

(21) تفسير المنار، 1/280-281.

أما القرطبي فقد ذهب إلى أن أقرب الأقوال ما قاله بعض المتأخرين " من أن الذي ينبغي أن يقال أن الله تعالى أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم، وعاقبهم عليها وأخبروا بها على أنفسهم، وأشفقوا منها وتابوا وإنما وقع منهم كان على جهة الخطأ والنسيان وتأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات، بالنسبة إلى مناصبهم، وعلوا أقدارهم، إذ قد يؤخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والسلامة" (22).

وقال محمد علي الصابوني : « أن أقرب الأقوال أن آدم أكل من الشجرة ناسيا، والنسيان يرفع الإثم عن الفاعل كما قال تعالى : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسيا أو أخطأنا ﴾ (23) » (24).

وهذا هو الرأي الأصوب الذي يتفق مع مقام الأنبياء وعصمتهم .

العبرة من توبة آدم عليه السلام.

في توبة آدم عبر ودروس منها :

1- تغلب نوازع الطيبة عند الإنسان على نوازع الشر ووسوسة الشيطان وذلك ما يدفعه حين الخطأ والنسيان إلى التوبة وطلب الغفران.

2- النسيان طبيعة الإنسان فمهما أوتي من التجلُّة، والكرامة ففي طبعه ضعف، وهو عرضه لأن ينسى، و يأتي مالا يتفق مع إجلال الله .

3- عدم اليأس من رحمة الله وإن كثرت الذنوب، والمعاصي فمن زلت قدمه واقترب معصية فليسلك سبيل أبيه آدم من التوبة، واستئناف حياة أفضل وأطهر قال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (25).

(22) تفسير القرطبي 308/1-309. انظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 145/1-146.

(23) البقرة: الآية 285.

(24) محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، ص: 62 .

(25) الزمر : الآية 53.

المبحث الثاني

توبة يونس - عليه السلام - وقومه

النموذج الثاني من التائبين في القرآن الكريم هو يونس⁽¹⁾ -عليه السلام- وقد ذكر هو وغيره من الأنبياء في القرآن لتثبيت فؤاد الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى : ﴿ وَكَلاَّ نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرِّسْلِ مَا نَتَّبِعُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾⁽²⁾.

وسأتحدث في قصة يونس على النقاط الآتية :

ذكره في القرآن الكريم، قصته مع قومه، توبته وقومه، والعبر المستخلصة من قصته.

أولاً: ذكره في القرآن الكريم.

ذكر يونس -عليه السلام- في القرآن الكريم ست مرات، أربعاً بالاسم، واثنين بالصفة. فقد ذكر بالاسم في :

1- سورة النساء:

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَالْإِسْبَاطَ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ، وَيُونُسَ وَهَارُونَ، وَسُلَيْمَانَ، وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾⁽³⁾.

2- سورة الأنعام:

في قوله تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ، وَالْيَسَعَ، وَيُونُسَ وَلُوطًا، وَكَلَّا فَضْلَنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ هو يونس بن متى واسمه بالعبرانية "يونا بن أمثاي" وهو من أهل فلسطين، ومن أنبياء بني إسرائيل أرسله الله إلى أهل نينوى وكانت بلاداً عظيمة من بلاد الآشوريين. وكان بها أسرى بني إسرائيل الذين بأيدي الآشوريين وكانوا زهاء مائة ألف. وكان يونس في أول القرن الثامن قبل المسيح.

الشيخ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 172/23.

⁽²⁾ هود: الآية 119.

⁽³⁾ النساء: الآية 162.

⁽⁴⁾ الأنعام: الآية 87.

3- سورة يونس:

في قوله تعالى : ﴿ فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ ⁽⁵⁾.

4- سورة الصافات:

في قوله تعالى : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين اذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فآلئمه الحوت وهو مليم فلو لا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمعتناهم إلى حين ﴾ ⁽⁶⁾. وذكر بالوصف في :

1- الأنبياء :

في قوله تعالى : ﴿ وإذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ﴾ ⁽⁷⁾.

2- سورة القلم:

في قوله تعالى : ﴿ فاصبر لحكم ربك، ولا تكن كصاحب الحوت إذا نادى، وهو مكظوم، لو لا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء، وهو مذموم، فاجتبه ربه فجعله من الصالحين ﴾ ⁽⁸⁾.

⁽⁵⁾ يونس: الآية 98.

⁽⁶⁾ الصافات: الآيات 139...147.

⁽⁷⁾ الأنبياء: الآيات 86-87.

⁽⁸⁾ القلم: الآيات 48...50.

ثانيا : قصته مع قومه.

وملخص قصته معهم كما ذكرها المفسرون ⁽⁹⁾ :

أن الله أرسل يونس إلى أهل (نينوي) من أرض الموصل بالعراق بعد أن عبدوا من دونه أصناما لا تضر ولا تنفع، فذهب يونس -عليه السلام- من بلاد الشام (نينوي) فدعاهم إلى عبادة الواحد الأحد فكذبوه، ولم يستجيبوا لدعوته شأن أكثر أهل القرى كما قال تعالى: ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ ⁽¹⁰⁾.

فأنذرهم بعذاب قريب وغادرهم مغضبا آبقا، فقاده الغضب إلى شاطئ البحر حيث ركب سفينة مشحونة، وفي وسط اللجة ناوأها الرياح، والأمواج، وكان هذا إيذانا عند القوم: بأن من بين الركاب راكبا مغضوبا عليه لا ارتكابه خطيئة، ولا بد أن يلقي في الماء لتنجو السفينة من الغرق، فاقترحوا على من يلقيه منها فخرج يونس -عليه السلام- وكان معروفا عندهم بالصلاح ولكن سهمه خرج بشكل أكيد فألقوه في البحر قال تعالى: ﴿ وإن يونس لمن المرسلين إذا بق إلى الفلك المشحون فسأهم فكان من المدحذين فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾ ⁽¹¹⁾ أي مستحق للوم لأنه تخلى عن المهمة التي أرسله الله بها وترك قومه مغاضبا قبل أن يأذن الله له، وعندما أحس بالضيق في بطن الحوت، سبَّح الله، واستغفره، وذكر أنه كان من الظالمين وقال: ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ⁽¹²⁾ فاستجاب الله لدعائه فلفظه الحوت قال تعالى: ﴿ فلو لا أنه كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يعثون ﴾ ⁽¹³⁾.

⁽⁹⁾ تفسير القرطبي 121/15.... 132. السيد قطب في ظلال القرآن 2998/5-2999. تفسير التحرير والتنوير 172/23.

⁽¹⁰⁾ سبأ: الآية 34.

⁽¹¹⁾ الصافات: الآيات 139... 149.

⁽¹²⁾ الأنبياء: الآية 86.

⁽¹³⁾ الصافات: الآيات 143-144.

وقد خرج من بطن الحوت سقيما عاريا إلى الشاطئ. قال تعالى: ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ وهو القرع يظله يورقه العريض، وكان من تدبير الله ولطفه.

ثالثا : توبته وقومه .

خرج يونس - عليه السلام - بعد أن لقي أعراضا من قومه، ووعدهم بالعذاب، وشاءت حكمة الله أن يؤمنوا ويتوبوا قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ (14).

يقول محمد رشيد رضا : "إن ذلك تعريض بأهل مكة، وإنذار لهم ، وحض على أن يكونسوا كقوم يونس الذين استحقوا عذاب الخزي بعنادهم حتى إذا أنذرهم نبيهم قرب وقوعه، وخرج من بينهم اعتبروا وآمنوا قبل اليأس، وحلول اليأس" (15).

وظن يونس أن الله لن يضيق عليه بإيأافه وتركه لأمره العظيم، فابتلاه الله فعاش ظلمات: الليل، والبحر، والحوت، وفي بطن الحوت تضرع وجأر لربه بالدعاء والتسبيح فاستجاب الله له ونجاه من الغم، وقيل توبته وأنعم عليه بنعم كثيرة. قال تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ ﴾ (16).

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : " أي لو لا توبته، وضارعتة إلى الله لقفذه الحوت من بطنه ميتا فأخرجه إلى الشاطئ فلكان مُثَلَّةً للناظرين، أو حياً منبوذا بالعراء لا يجد إسعافا، أو لنجا بعد لأي، والله غاضب عليه فهو مذموم عند الله مسخوط عليه، وهي نعم كثيرة عليه إذ أنقذه من هذه الورطات كلها إنقاذاً خارقاً للعادة" (17).

(14) يونس: الآية 92.

(15) تفسير المنار، 483/11.

(16) القلم: الآية 49.

(17) تفسير التحرير والتنوير 106/29.

رابعاً : العبر المستخلصة من قصته.

في قصة يونس عبر، ودروس يجدر بالمؤمن أن يعيها ويتأسى بها ومنها :

1- عبادة الله تنجي عند الضيق .

فقد ذكر الله -جل جلاله - أن يونس كان من المسيحين قبل أن يلتقطه الحوت، وأن تسييحه كان سبب نجاته قال تعالى : ﴿ فلو لا أنه كان من المسيحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ فقد كان يونس عليه السلام - كثير الصلاة في الرخاء فأنجاه الله عند الشدة، مصداقاً لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقد روى ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له : " إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " (18).

2- اللجوء إلى الله عند الضيق.

ففي حال الضيق، على المؤمن أن يتضرع إلى ربه ليكشف كربته. فقد تضرع يونس -عليه السلام- وهو في بطن الحوت بقوله : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾.

لقد عاد إلى ربه، وأظهر توبته ففرج الله عنه ما كان فيه من ضيق، وهو فضل لا يختص بيونس بل يعم كل المؤمنين بدليل قوله تعالى : ﴿ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾.

وقد روى سعد بن أبي وقاص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " دعوة ذي النون في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ما دعا بها عبد مسلم قط، وهو مكروب إلا استجاب الله دعاءه " (19).

(18) رواد الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع رقم 2440. وأحمد مسند بني هاشم رقم 2666 واللفظ له.

(19) رواد الترمذي كتاب الدعوات رقم 3427 واللفظ له. وأحمد العشرة المبشرين بالجنة رقم 1383.

3- الصبر في مجال الدعوة لله.

على المؤمن أن ينفذ إرشادات الله، وتوجيهاته، والدعوة إليه يصبر حتى لا يتلى بصعاب، وأهوال لم تكن في الحسبان فيونس تجعل الفرار من الميدان الذي وضعه الله فيه فكان لابد من درس يتلقاه من ربه فيخرج من ضيق إلى ضيق أشد، وهو بطن الحوت ثم يكنفه الله برحمته فيخرجه إلى اليابسة فيعود إلى المدينة التي فارقها ليعاود الدعوة إلى الله، وهو أشد يقينا، وأرجى نفسا فيوفقه الله في مهمته .

ولهذا يدعو الله نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم- إلى الثبات في مجال الدعوة إلى الله وعدم الفرار من قومه، قال تعالى : ﴿ واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذا نادى وهو مكظوم لولا أن تدركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتبه ربه فجعله من الصالحين ﴾ .

4- الدعوة إلى التوبة.

في قصة يونس -وغيره من الأنبياء التائبين- دعوة للمؤمنين بأن يعودوا إلى الله بالتوبة بعد الخطأ والنسيان. فإن كان الأنبياء وهم عباد الله المصطفون يتوبون إلى الله ويستغفرونه، فإن من دونهم من البشر أجدر بالإنابة إلى الله، وأن كثرت الزلات، وتنوعت الأخطاء .

فهلا عدنا إلى الله لنظهر ضعفنا وعجزنا فيكلاًنا برحمته ويشملنا بعفوه وغفرانه .

هذان مثالان رفيعان تجلت فيهما التوبة في أسمى معانيها، وأرفع مقاماتها أنها توبة الأنبياء، وهاك مثالا آخر لمن هم دون الأنبياء بل ممن قتلوا الأنبياء، ومن يأمر بالقسط من الناس، أنهم بنو إسرائيل. فكيف كانت توبتهم؟ .

المبحث الثالث

توبة بني إسرائيل

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

النموذج الثالث من التائبين في القرآن هم بنو إسرائيل⁽¹⁾ وسيجمل الحديث عنهم في النقاط الآتية : نعم الله عليهم، وتصرفاتهم السيئة مع نبي الله موسى عليه السلام، وعيادتهم العجل، وتوبتهم إلى الله، وذكر الآيات القرآنية في هذا الموضوع .

أولاً : نعم الله عليهم .

قال الله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا⁽²⁾ نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين⁽³⁾ ﴾ أي على عالم زمانهم فما هي النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل:

1- إنقاذهم من آل فرعون، وجبروته.

فقد استعبدتهم وأذلهم وقتل أبناءهم، واستبقى نساءهم إلى أن أهلكه الله، وقومه ونحى بنى إسرائيل من العذاب المهين، وقد ذكّرهم الله بتلك النعم ليشكروا الله عليها ويستجيبوا لدعوة نبيهم موسى عليه السلام قال تعالى : ﴿ وإذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾⁽⁴⁾ .

2- طول زمن النبوة فيهم. فمن لطف الله بعباده وإكرامه لهم أن يبعث فيهم الأنبياء، والرسل لإرشادهم إلى سواء السبيل وحتى لا يكون لهم على الله حجة بعد الرسل قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾⁽⁵⁾ .

⁽¹⁾ قال القرطبي عن إسرائيل اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف ومعناه: عبد الله. قال ابن عباس إسرائ بالعبرانية هو عبد وإيل هو الله، وقال رشيد رضا إسرائيل لقب نبي الله يعقوب ابن نبيه إسحاق وخليفه إبراهيم عليهما السلام، قيل معناه الأمير المجاهد مع الله، والمراد ببنيه ذريته من أسباطه الاثني عشر وأطلق عليه لقبهم في كتبهم وتواريخهم كما تسمى العرب القبيلة كلها باسم جدّها الأعلى.

القرطبي 331/1.

⁽²⁾ ذكر القرطبي معنى جميلاً يحسن ذكره قال: أرباب المعاني ربط سبحانه وتعالى بني إسرائيل بذكر النعمة وأسقطه عن أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ودعاهم إلى ذكره فقال: "اذكروني أذكركم" ليعون نظر الأمم من النعمة إلى المنعم، ونظر أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- من المنعم إلى النعمة.

القرطبي 332/1.

⁽³⁾ البقرة: الآية 47.

⁽⁴⁾ الأعراف: الآية 141.

⁽⁵⁾ النساء: الآية 164.

وقد طال زمن النبوة فيهم وخصهم الله أكثر من غيرهم بإرسال الرسل وأن دل هذا الإرسال على التكريم فهو يدل كذلك على مدى العصيان الذي كان عليه بنوا إسرائيل فقد قتلوا الأنبياء، ومن كان يأمر بالقسط من الناس، واتخذوا من النعمة حجة للإعراض عن الإيمان، قال تعالى : ﴿إِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَبْتَغُوا ذَلِكَ إِلَّا لِيَكْفُرُوا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (6).

3- تفجير الماء للشرب.

إذ بعد وصول بني إسرائيل إلى الشاطئ الشرقي لم يجدوا ماء لشربهم، وسقيا لدوابهم فشكوا أمرهم إلى موسى، وطلبوا منه الماء فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه فتفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل قبيلة منهم عين ترويه، قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذَا اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضِرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا بَغَمًا عَلَى الْوَادِي﴾ (7).

4- سوق الغمام ليقبهم حرارة الشمس.

فعند وصولهم إلى شبه جزيرة سيناء حيث الشمس الحارة، ولا مكان يأوون إليه ولا شجر يلتمسون تحته الظل شكوا إلى موسى -عليه السلام- ما يلقون من عناء فتضرع موسى -عليه السلام- إلى ربه فساق لهم الغمام يقيهم حرارة الشمس قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ﴾ (8).

(6) المائدة: الآية 22.

(7) الأعراف: الآية 160.

(8) الأعراف: الآية 160.

5- إنزال المن والسلوى.

عندما قرب زادهم أن ينفذ سأل موسى ربه مرة أخرى الطعام فأنزل الله عليهم المن والسلوى⁽⁹⁾ وأمرهم أن يأكلوا من هذه الطيبات، قال تعالى: ﴿يا بني إسرائيل قد نجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن، ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم، ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾⁽¹⁰⁾ فكفروا بتلك النعم وطلبوا غيرها، قال تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم﴾⁽¹¹⁾.

ثانيا : تصرفاتهم السيئة مع نبي الله موسى عليه السلام.

1- طلبهم أن يجعل لهم إلهًا.

فبعد أن جاوزوا البحر قالوا لموسى اجعل لنا إلهًا قال تعالى: ﴿فأتوا على قوم يَكْفُونَ على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾⁽¹²⁾.

(9) المن: الطرنجين: صمغة حلوة، وقيل عسل، وقيل شراب حلو، وقيل مصدر يعم جميع ما من الله على عباده من غير تعب ولا زرع.

السلوى: قيل هو السمان بعينه وهو طير بإجماع المفسرين.

تفسير القرطبي 407/1.

(10) طه: الآية 79.

(11) البقرة: الآية 62.

(12) الأعراف: الآية 138.

2- سوء الأدب مع موسى عليه السلام.

فحين قال لهم ﴿أَنْ أَلَهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْجُوا بَقْرَةً﴾ قالوا له بكل وقاحة ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁽¹³⁾.

3- اتخاذهم العجل إلهًا.

فبعد ذهاب موسى عليه السلام - إلى الطور لمناجاة ربه صنع لهم السامري عجلا من الخلي فاتخذوه إلهًا وعبدوه قال تعالى : ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾⁽¹⁴⁾.

4- عدم الاستجابة لأمر الله بدخول الأرض المقدسة.

التي كتب الله لهم ولا يرتدوا على أديبارهم فينقلبوا خاسرين قال تعالى : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾⁽¹⁵⁾. غير أن موقفهم كان قولهم لرسول الله موسى - عليه السلام - : ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾⁽¹⁶⁾. فناجى موسى ربه في أسى وحزن : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾⁽¹⁷⁾.

⁽¹³⁾ البقرة: الآية 66.

⁽¹⁴⁾ البقرة: الآية 51.

⁽¹⁵⁾ المائدة: الآية 23.

⁽¹⁶⁾ المائدة: الآية 26.

⁽¹⁷⁾ المائدة: الآية 27.

فقد أخذ الله العهد عليهم بأن يطيعوه فنكثوا العهد فاستحقوا الطرد، قال تعالى: ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم إثني عشر نقيباً⁽¹⁸⁾ وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية⁽¹⁹⁾ ﴾ والمعنى: أن الله أخذ العهد على بني إسرائيل بأن يطيعوه فأقام عليهم إثني عشر رئيساً. ووعدهم بالنصر إن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وآمنوا برسله جميعاً، ونصروهم، وأنفقوا في سبيل الخير. فإن فعلوا ذلك تجاوز الله عن سيئاتهم وأدخلهم جنات النعيم إلا أنهم نقضوا العهد فاستحقوا الطرد من رحمة الله، وسارت قلوبهم قاسية لا تلين للحق قال تعالى: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة، أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله، وما الله بغافل عما تعملون⁽²⁰⁾ ﴾ .

فقد شبه الله قلوبهم القاسية بالحجارة الصلبة بل هي أشد قسوة منها فالحجارة قد تتأثر وتتفعل فمنها ما تتفجر منها المياه الكثيرة ومنها ما تتشقق فيخرج منها الماء عيوناً، ومنها ما يتردى من أعلى الجبال انقياداً لإرادة الله بتأثير الصواعق والبراكين والزلازل.

إن قلوب بني إسرائيل قد قست ففقدت خاصية التأثير فلم تعد العظاات تصل إلى قلوبهم فهبطوا من سمو الروح الإنساني إلى رتبة الجماد بل إلى ما دون ذلك.

(18) النقيب: هو العريف يعني عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله وكتابه، تفسير ابن كثير 524/2.

(19) المائدة: الآيات 12-13.

(20) البقرة: الآية 74.

ثالثاً: عبادتكم العجل وتوبتهم إلى الله.

لقد اتخذ بنوا إسرائيل -بعد ذهاب موسى لمناجاة ربه- العجل إلهاً من دون الله، وظلموا بذلك أنفسهم وتنكبوا عن الصراط المستقيم قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ، وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعَجَلَ فَتَوَبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (21).

وقال كذلك: ﴿وَإِذَا تَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلْيَمٍ عُجْلاً جَسَداً لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِرَحْمَتِ رَبِّنَا وَيَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيُنَاغِمُ لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (22).

وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (23).

(21) البقرة: الآيات 50...53.

(22) الأعراف: الآيات 148....153.

(23) الأعراف: الآية 156.

وقال تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌّ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَبْتُؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسٌ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ أَخْلِفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۝ (24) .

إنه فعل شنيع أقدم عليه بنو إسرائيل فعبدوا من دون الله عجلاً جسداً له خوار، إنه الشرك الذي ليس بعده ذنب، وقد دعاهم نبي الله موسى - عليه السلام - إلى التوبة وذلك بقتل أنفسهم قال تعالى: ﴿ قَتَبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۝ .

وقد ذكر المفسرون (25) أن القتل كان حقيقياً إذ قاموا صفين فاقتتلوا بينهم فجعل الله القتل لمن قتل منهم شهادة، وكان توبة لمن بقي، وقتل المرء لأخيه كقتله لنفسه.

(24) طه: الآيات 83....98.

(25) الطبري، 77/2. القرطبي 401/1. التحرير والتنوير 503/1-504.

ومن الناس من جعل الأمر بقتل النفس هنا على معنى القتل المجازي، وهو التذليل، والقهر وفيه بعد عن اللفظ بل مخالفة لغرض الامتنان لأن تذليل النفس وقهرها شريعة غير منسوخة.

والظلم هنا الجناية، والمعصية على حد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁶⁾ ولفظاعة الذنب كانت توبتهم بهذا العقاب الشديد وهو قتل بعضهم بعضا وذلك من علامات التوبة النصوح.

فقد قال الشيخ محمد رشيد رضا: "من علامات التوبة النصوح: الإتيان بأعمال تشق على النفس، وما كانت تأتيها لولا ذلك الشعور الذي يحدثه الذنب، وهذه العلامة لا تتخلف عن التوبة سواء كان الذنب مع الله تعالى أو مع الناس.... وقد أمر بنو إسرائيل بأشق الأعمال في تحقيق التوبة من أكبر الذنوب. وهو الرغبة عن عبادة من خلقهم وبرأهم إلى عباده ما عملوا بأيديهم"⁽²⁷⁾.

⁽²⁶⁾ لقمان: الآية 12.

⁽²⁷⁾ تفسير المنار: 320/1.

الفصل الخامس

آثار التوبة في القرآن الكريم

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: الآثار النفسية.

وفيه:

- 1- الشعور بالراحة النفسية.
- 2- التخلص من عقدة الشعور بالذنب والقنوط من رحمة الله.
- 3- المساهمة في تكوين شخصية سوية.

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية للتوبة.

وفيه:

- أولاً: تطهير المجتمع من الرذيلة.
- ثانياً: بث الطمأنينة بين أفراد المجتمع.
- ثالثاً: إشاعة معاني الأخوة، والاتحاد بين أفراد المجتمع.

المبحث الثالث: الآثار الأخروية للتوبة.

وفيه:

- أولاً: محبة الله تعالى للتائبين.
- ثانياً: تبديل السيئات حسنات.
- ثالثاً: الفوز بالجنة.

المبحث الأول

الآثار النفسية للتوبة.

وفيه:

- 1- الشعور بالراحة النفسية.
- 2- التخلص من عقدة الشعور بالذنب والقنوط من رحمة الله.
- 3- المساهمة في تكوين شخصية سوية.

للتوبة آثار نفسية منها:

أولاً: الشعور بالراحة النفسية.

لا يعلم أسرار النفس البشرية إلا الله، ولا تسعد هذه النفس -بالراحة والاطمئنان- إلا في ظل ما شرع الله من الأخلاق السامية، ومنها التوبة، التي يجد فيها العائد إلى ربه ملاذا يأوي إليه، بعد حياة القلق، والاضطراب، والحزن والاكتئاب.

وفي رجوع الإنسان إلى خالقه طمأنينة للقلب وسكينة للنفس قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾⁽¹⁾. فالتوبة دواء ناجع، وبلسم شاف للنفس الحائرة الباحثة عن الأمن والاطمئنان. فيها ينعم العبد بالراحة النفسية مما يزيده ثقة في ربه، وفي نفسه فيقبل على الحياة دون يأس وقنوط، ويعمل، ويسعى أثناء الليل، وأطراف النهار، وإن وقع في الخطأ أسرع للتوبة، والاستغفار، ولم ينسب ذلك للمكتوب والأقدار.

وقد حض القرآن على تزكية النفس وتهذيبها في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾⁽²⁾. وقال: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، إن ربي غفور رحيم﴾⁽³⁾.

فالسعيد من التزم أمر الله، وزكى نفسه، والشقي من أعرض، ونأى، واستكبر، وتجبر فكانت عاقبته البوار، والخسران قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال ربي لم أحشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾⁽⁴⁾.

(1) الرعد: الآية 29.

(2) الشمس: الآيات 07....10.

(3) يوسف: الآية 53.

(4) طه: الآيات 122....124.

ثانياً: التخلص من عقدة الشعور بالذنب، والقنوط من رحمة الله.

من آثار التوبة النفسية: التخلص من عقدة الشعور بالذنب الناجمة عن الإسراف في المعاصي، والإصرار عليها مما يجعل المذنب يشعر بمركب نقص يقض مضجعه، ويهز كيانه النفسي لتيقنه من الهلاك بعد التنكب عن الصراط السوي، والمضي في تلبية رغبات النفس الأمارة بالسوء، فيظل حبيس هذا الشعور، ولا يفك قيده، ويحل عقده ويحرر نفسه من هذا السجن المظلم إلا الأوبة إلى الله، وقد عرض القرآن الكريم قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، وبين حالتهم النفسية المتسمة بالضيق والحرج حيث ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم إلى أن تاب الله عليهم فتأبوا فكان في ذلك راحة لهم قال تعالى: ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ (5).

ويؤكد حقيقة التخلص من عقدة الشعور بالذنب بالتوبة الدكتور محمد عثمان نجاتي فيقول: "إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية، ويهتم العلاج النفسي في هذه الحالات بتغيير وجهة نظر المريض عن خبراته السابقة التي سببت له الشعور بالذنب فإراها في ضوء جديد، بحيث لا يرى فيها ما يبرر الاستمرار في شعوره بالذنب وشعوره بالنقص، فيخفف تأنيبه لنفسه، ويصبح أكثر تقبلاً لذاته فيزول قلقه، وأعراض مرضه النفسي، وبمدنا القرآن الكريم بأسلوب فريد وناجح في علاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة، فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله فتخفف حدة قلقه ثم إن التوبة عادة تدفع الإنسان إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسان لنفسه، وزيادة ثقته فيها ورضائه عنها ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه قال تعالى: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ .

(5) التوبة: الآية 114.

إن إيمان المسلم بأن الله جل شأنه يقبل التوبة، ويغفر الذنوب، وإن الله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده، إنما يدفعه إلى الاستغفار، والتوبة، والابتعاد عن ارتكاب المعاصي أملا في مغفرة الله ورضوانه، وإذا تاب المسلم توبة نصوحا، والترم بطاعة الله، وعبادته، وبالععمل الصالح ارتاح بالله، واطمأنت نفسه، وزال عنه الشعور بالذنب الذي سبب القلق، واضطراب الشخصية⁽⁶⁾

وإذا زال القلق، والاضطراب، ارتاحت النفس، وأقبل العبد على طاعة الله راجيا رحمته خائفا عذابه مؤمنا بقوله تعالى: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم، وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾⁽⁷⁾.

ومن سعة رحمة الله في هذه الآية أنه نسب المسرفين في المعاصي إلى نفسه فقال: ﴿ يا عبادي ﴾، وبذلك فتح لهم باب الرجاء والأمل، فما عليهم إلا الإنابة وإسلام الأمر إليه قبل فوات الأوان، قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: "هذه أرجى آية في القرآن"، وقال علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه وكرم وجهه-: "ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية".

وقد ذكر محمد الطاهر بن عاشور مناسبة الآية بالنسبة لما قبلها فقال: "أطنبت آيات الوعيد بأفنانها السابقة إطنابا يبلغ من نفوس سامعيها أي مبلغ من الرعب، والخوف على رغم تظاهرهاهم بقلّة الاهتمام بها، وقد يبلغ هم وقعها مبلغ اليأس من سعي ينجيهم من وعيدها فأعقبها الله ببعث الرجاء في نفوسهم للخروج إلى ساحل النجاة إذا أرادوها على عادة هذا الكتاب المجيد من مداواة النفوس بمزيج الترغيب والترهيب"⁽⁸⁾.

ويقول سيد قطب في معناها أيضا: "الآية تدعو العصاة المسرفين إلى الأمل، والرجاء، والثقة بعفو الله، فهو الرحيم بعباده لعلمه بضعفهم، وعجزهم بسبب ما سلط عليهم من داخل كيافهم ومن خارجه، وإن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، لذلك أمدهم بالعون ووسع لهم في الرحمة، ولم يأخذهم

⁽⁶⁾ الدكتور محمد عثمان نجادي، القرآن وعلم النفس ص: 282-283.

⁽⁷⁾ الزمر: الآيتان 50-51.

⁽⁸⁾ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 39/24.

بالمعصية حتى يهتئ لهم جميع الوسائل ليصلح خطأهم ويقيم خطاهم على الصراط، وبعد أن يلجوا في المعصية ويحسبوا أنهم قد طردوا، وانتهى أمرهم في هذه اللحظة لحظة اليأس، والقنوط، يسمع نداء الرحمة الندي " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم....." (9) .

إن كثرة المعاصي لا يمكن أن تكون سببا في عدم الإقبال على الله، يقول الشيخ الغزالي - رحمه الله - "ولا تؤذنيك كثرة الخطايا فلو كانت ركاما أسود كزبد البحر ما بالى الله عز وجل - بالتَّعَفُّفِ عَلَيْهَا إِنْ أَنْتِ انْتَهَيْتِ إِلَيْهِ قَصْداً وانطلقتِ إليه ركضاً، إِنْ الْكُنُودُ الْقَدِيمُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَائِقاً أَمَامَ أَوْبَةِ صَادِقَةٍ" (10) .

وقد سجل الشيخ محمد الغزالي - كذلك أبياتا لأحد الشعراء - في كتابه الجانب العاطفي من الإسلام، فيها دعوة للغافي أن يصحو وأن يدع دفء الفراش.

ورأيت أن أسجلها في هذا المقام لما تضمنته من دعوة إلى التوبة دون يأس وقنوط، وهماهي الأبيات:

قم في الدجى يا أيها المتعب	حتى متى فوق الأسرة ترقد
قم وادع مولاك الذي خلق الدجى	والصبح وامض فقد دعاك المسجد
واستغفر الله العظيم بذلة	واطلب رضاه فإنه لا يحقد
واندم على ما فات واندب ما مضى	بالأمس، واذكر ما يجيء بعد الغد
واضرع، وقل يا رب عفوك إنني	من دون عفوك ليس لي ما يعضد
أسف على عمري الذي ضيعته	تحت الذنوب وأنت فوق ترصد
يا رب لم أحسب مرارة مصدر	عن زلة قد طاب منها المورد
يا رب قد ثقلت علي كبائر	بإزاء عيني لم تزل تسترد

(9) سيد قطب، في ظلال القرآن، 3058/5.

(10) الشيخ محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ص: 199.

يا رب إن أبعدت عنك فإن لي	طمعا برحمتك التي لا تبعد
يا رب ما لي غير لطفك ملجأ	ولعلني عن بابه لا أطرد
يا رب هب لي توبة أقضي بها	دينا عسي به جلالك يشهد
أنت الخبير بحال عبدك إنه	بسلاسل الوزر الثقيل مقيد
أنت المحيب لكل داع يلتجي	أنت المحير لكل من يستنجد
من أي بحر غير بحرك نستقي	ولأي باب غير بابك نقصد (11).

ثالثا: المساهمة في تكون شخصية سوية.

الأثر النفسي الثالث من آثار التوبة: المساهمة في تكوين شخصية سوية تتجلى سماتها في علاقتها:
أولا: مع ربها.

فهي ملتزمة بحدوده، لا تهنأ، ولا تسعد إلا إذا أدت واجباتها تجاهه، وأرضته فرضي عنها، فلم تشرك به أحدا، ولم تطلب العون إلا منه، ولم تفوض أمرها إلا إليه، تلك هي الشخصية السوية في إيمانها وذلك هو الصراط المستقيم الذي سلكته، ومن سماتها كذلك دوام اتصالها بخالقها، قلبها معلق به، ترجو رحمته وتخالف عذابه.

ثانيا: مع العباد.

ملتزمة بما عليها من واجبات تجاههم دون تقصير أو تفريط، باذلة كل ما في وسعها لإسعادهم، وإدخال البهجة والسرور على قلوبهم، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر مؤمنة بقوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (12).

(11) الآيات مأخوذة من كتاب الجانب العاطفي من الإسلام، ولم أعر على اسم قائلها، ص: 198.

(12) التوبة: الآية 27.

تلك هي أخلاق المؤمنين أصحاب النفوس المطمئنة الثابتة على الحق الداعية إليه، المنكرة للظلم والظالمين، الطائعة لله ورسوله، وهي سمات الشخصية السوية الموفية للعهود مع الله ورسوله والعباد، لا تنقضها، ولا تنكثها إلى أن تلقى الله فيكرمها بما عهدا بها من دخول الجنة، والنظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ، وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (13).

(13) يونس: الآية 26.

المبحث الثاني

الآثار الاجتماعية للتوبة.

وفيه:

أولاً: تطهير المجتمع من الرذيلة.

ثانياً: بث الطمأنينة بين أفراد المجتمع.

ثالثاً: إشاعة معاني الأخوة، والاتحاد بين أفراد المجتمع.

للتوبة آثار اجتماعية منها:

أولاً: تطهير المجتمع من الرذيلة.

التوبة خلق من أخلاق القرآن المؤثرة في تطهير المجتمع مما يشيع فيه من الفواحش والمنكرات، والرذائل، والموبقات، والمعاصي بكل أنواعها، الظاهرة، والباطنة، والتي -إن انتشرت وسادت- كانت السبب في تقويض أركان المجتمع وهلاك كيانه.

يقول الدكتور التهامي نقرة: "إن الانغماس في مراتع الشهوات، وإشباع الغرائز المنهومة يمسث الشعور بالنخوة، ويقتل الإحساس بالعزة، والغبرة ويجعل الرذائل من مألوفات الحياة، فتصبح القيم والفضائل التي لا تعيش المجتمعات إلا بها غريبة" (1).

ومن سنن الله في خلقه: معاقبة المفسدين، والعصاة -إن أصروا واستكبروا- قال تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (2).

يقول محمد الصادق عرجون: "إذا انحرف المجتمع عن مقومات المساواة في الحقوق الإنسانية بالجهل والبغى، والتمييز العنصري والطبقي، وعن مقومات المودة، والرحمة بالعداوة والبغضاء، والقسوة، تخطفه الانفرادية، وتحكمت فيه الأنانية، وطغت عليه الفوضى، وفرقت الزاعات والخصومات، وهوى مأخوذاً بعدل الله وسلطان السنن الإلهية" (3).

أما إذا استمسك بالإيمان، وتاب إلى ربه، واستقام على طريق الخير والحق، تفتحت له الأرض عن خيراتها وتزلت عليه بركات الله من السماء، فيعيش حياة الرخاء والهناء قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (4).

(1) الدكتور التهامي نقرة، في ضوء القرآن والسنة، ص: 155.

(2) هود: الآية 117.

(3) محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، ص: 34.

(4) الأعراف: الآية 96.

ثانيا: بث الطمأنينة بين أفراد المجتمع.

الأثر الاجتماعي الثاني للتوبة: بث الطمأنينة بين أفراد المجتمع، فموت الرذيلة وحياة الفضيلة يجعل المجتمع ينعم بالأمن، والطمأنينة، وهي نعمة من نعم الله التي لا تتحقق إلا بالأوبة والرجوع إليه فهو الذي يطعم من جوع ويأمن من خوف.

وما عاشت البشرية حياة الرعب والهلع - في أطوار حياتها - إلا حين تخلت عن تعاليم خالقها، والتمست الدواء فيما سنته من قوانين لا تستمد توجيهاتها من الوحي السماوي، فاختل توازنها الاجتماعي وانتشر الفقر، والجهل، والمرض، ولم يأمن الناس على حياتهم، وأموالهم، ولا يعود للبشرية طمأننتها وأمنها إلا إذا آمنت برها حق الإيمان، وآبت إليه بعد هذا التيه والنسيان.

إن الأمن النفسي - قرين الإيمان - ولا يمكن توفيره بالمال والسلطان، قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾⁽⁵⁾، فليصدق المؤمنون في توبتهم لخالقهم، ويؤمنوا به حق الإيمان، فيشيع بينهم الأمن والأمان يقول الشيخ القرضاوي ذكره الله بخير - : "والأمن من ثمرات الطمأنينة، والسكينة بل هو نوع منها إنه طمأنينة تتعلق بالمستقبل بكل ما يتوقعه الإنسان، ويخاف منه أو يخاف عليه، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسي ... وقد قيل لحكيم ما السرور؟ فقال: الأمن فأني وجدت الخائف لا عيش له"⁽⁶⁾.

وقد امتن الله بهذه النعمة على قريش حين أمرهم بعبادته، وعدم الاشرار به فقال: ﴿إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾⁽⁷⁾

إنه لا تقاس سعادة المجتمع بما يتوفر فيه من المأكل، والمشارب بل بما يشاع فيه من أمن وسلام.

(5) الأنعام: الآية 83 .

(6) الشيخ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص: 155.

(7) قريش: الآيات 1.....5.

ثالثاً: إشاعة معاني الأخوة والاتحاد بين أفراد المجتمع.

من الآثار الاجتماعية للتوبة: إشاعة معاني الأخوة والاتحاد بين أفراد المجتمع. فالتوبة خلق يغير من خلاله العبد الإساءة إلى غيره بالإحسان، وهو بذلك يفتح صفحة جديدة لحياة البر والعمل الصالح، فتتألف بذلك القلوب، وتتبدد سحائب العداوة والبغضاء وتشيع معاني الحب، والإخاء قال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾⁽⁸⁾.

ومعاني الأخوة في العقيدة عديدة ومتنوعة، حيث يمثل مجموعها، الدين كله و ساقطصر على ذكر بعض منها:

1- عدم التهكم والازدراء، والسخرية بالآخرين، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن...﴾⁽⁹⁾

2- الإيثار: وهو أعلى درجات الحب، إذ يؤثر الإنسان أخاه على نفسه فيجود عليه بالشيء وهو محتاج إليه، ويجوع ليشبع، ويكد ليرتاح إلى غير ذلك من معاني الإيثار قال تعالى: ﴿والذين تبوأوا الدار، والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾⁽¹⁰⁾.

تلك هي علامات الإخاء الصحيح، لا إخاء المنافع الزائلة، والغايات الدنيا.

3- التناصر: وذلك لإحقاق الحق وإبطال الباطل يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: "وأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء، بل تناصر المؤمنين المصلحين لإحقاق الحق وإبطال الباطل وردع المعتدي، وإجارة المهضوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك بل لا بد من الوقوف بجانبه على أي حال لإرشاده إن ضل وحجزه إن تطاول، والدفاع عنه إن هوجم

⁽⁸⁾ آل عمران: الآية 103.

⁽⁹⁾ الحجرات: الآية 11.

⁽¹⁰⁾ الحشر: الآية 09.

والقتال معه إذا استبيح، وذلك معنى التناصر الذي فرضه الإسلام فعن أنس -رضي الله عنه- قال: قلل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال تأخذ فوق يديه" (11) (12).

تلك بعض معاني الأخوة وأثرها حين تشيع بين أفراد المجتمع فيصير المؤمن قوياً بإخوانه يقول الشيخ القرضاوي في هذا المعنى: "يستمد المؤمن قوته من إخوانه المؤمنين فيشعر بأنهم له، وهو لهم يعينونه إذا شهد ويحفظونه إذا غاب، ويواسونه عند الشدة، ويؤنسونه عند الوحشة، ويأخذون بيده إذا عثر، ويسندونه إذا خارت قواه، فهو حين يعمل يحس بمشاركتهم، وحين يجاهد يضرب بقوتهم" (13).

وذلك ما يقوي أواصر الأخوة بين المؤمنين فتتحد غاياتهم وأهدافهم وذلك ما يدعوهم إليه دينهم ويظهر في كل تعاليمه، فهم يد واحدة في السراء والضراء، وعند مواجهة الشدائد والأعداء، قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ (14).

وهم أذلة فيما بينهم أعزة على من خالف عقيدة التوحيد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (15).

(11) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، رقم 2264 واللفظ له، الترمذي كتاب الفتن رقم 2181، وأحمد باق مسند الكثرين رقم 11511.

(12) محمد الغزالي، خلق المسلم ص: 168.

(13) الشيخ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة ص: 273.

(14) الفتح: الآية 29.

(15) المائدة: الآية 56.

المبحث الثالث

الآثار الأخروية.

وفيه:

أولاً: محبة الله تعالى للتائبين.

ثانياً: تبديل السيئات حسنات.

ثالثاً: الفوز بالجنة.

وللتوبة كذلك آثار أخروية منها:

أولاً: محبة الله تعالى للتائبين.

من آثار التوبة في الحياة الأخرى: ما يحظى به التائب من محبة الله له، تلك المحبة التي استحقها بامتثاله للأوامر واجتنابه للنواهي واتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ (1).

والتائب الحق هو الذي يعمر قلبه حب الله ورسوله فلا يرقى إليه حب الأب والابن والأخ قلل تعالى: ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى إليه بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ (2). فعن أنس رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : "ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" (3).

فاستحضر عظمة الله ومحبته، والعودة إليه ولو صغر الذنب - هو السر في محبته الله لعباده التوايين قال تعالى: ﴿ إن الله يحب التوايين ويحب المتطهرين ﴾ (4).

فما السر في تقسيم التوايين على المتطهرين والجمع بينهما في المحبة؟ ذلك ما أبينه من خلال أقوال لبعض المفسرين ومنهم:

(1) آل عمران: الآية 31 .

(2) التوبة: الآية 24.

(3) رواه البخاري، كتاب الإيمان رقم 15. واللفظ له. مسلم كتاب الإيمان رقم 60. النسائي كتاب الإيمان وشرائعه رقم 40901. ابن ماجه كتاب الفتن رقم 4023. أحمد باق مسند المكثرين رقم 11564.

(4) البقرة: الآية 220.

1- الطبري.

فقد ذكر: "أن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: "إن الله يحب التوابين من الذنوب ويجب المتطهرين بالماء للصلاة، لأن ذلك هو الأغلب من ظاهر معانيه، وذلك أن الله -تعالى ذكره- ذكر أمر الحيض فنهاهم عن أمور كانوا يفعلونها في جاهليتهم ممن تركهم مساكنة الحائض، ومؤاكلتها، ومشاربتها، وأشياء غير ذلك مما كان -تعالى ذكره- يكرهها من عباده فلما استفتى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك أوحى الله تعالى إليه في ذلك فيين لهم ما يكرهه مما يرضاه، ويحبه، وأخبرهم أنه يحب من خلقه من أناب إلى رضاه ومحبته. تائباً مما يكرهه"⁽⁵⁾.

2- القرطبي.

أما القرطبي فقد بين معنى التوابين والمتطهرين بقوله: "التوابون من الذنوب والشرك، والمتطهرون أي بالماء من الجنابة والأحداث، قال عطاء وغيره، وقال مجاهد من الذنوب وعنه أيضاً: إتيان النساء من أدبارهن... وقيل المتطهرون الذين لم يذنبوا، فإن قيل كيف قدم بالذكر الذي أذنب على من لم يذنب، قيل: قدمه لئلا يقنط التائب من الرحمة، ولا يعجب المتطهر بنفسه كما ذكر في آية أخرى" فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات"⁽⁶⁾⁽⁷⁾. ويدل هذا التقديم للتوابين على المتطهرين، ما للتوبة من أثر في الحياة الأخرى فهم وإن أذنبوا مقدمون على المتطهرين وإن لم يذنبوا.

3- الشيخان محمد رشيد رضا والمراغي.

فقد اتفقا في تفسير معنى التوابين والمتطهرين قال المراغي: "أي أن الله يحب الذين يرجعون إليه تائبين غير مصرين على سيئ أفعالهم بتغليب سلطان الشهوة على سنة الفطرة حين أتوا نساءهم في الحيض أو في غير المأثى الذي أمر الله به.

⁽⁵⁾ تفسير الطبري، 391/2.

⁽⁶⁾ فاطر: الآية 32.

⁽⁷⁾ القرطبي، 91/3.

ويجب المتطهرين أي وأنه تعالى يجب كل من نزه نفسه عن الأقدار، وابتعد عن ارتكاب المنكرات، وهؤلاء أحب إلى الله ممن فرطت منهم الزلة ووقعوا في الدنس ثم تابوا" (8).

4- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

قال في تفسير معنى التوابين والمتطهرين: "وهو ارتفاق بالمخاطبين بأن ذلك المنع كان لمنفعتهم -ليكونوا متطهرين، وأما ذكر التوابين فهو إدماج للتنويه بشأن التوبة عند ذكر ما يدل على امتثال ما أمر الله به من اعتزال النساء في الحيض أي أن التوبة أعظم شأنًا من التطهر أي أن نية الامتثال أعظم من تحقيق مصلحة التطهر لكم لأن التوبة تطهر روحاني والتطهر جسماني" (9).

والمعنى المختار في شأن -التوابين والمتطهرين- هو ما ذهب إليه القرطبي ومحمد الطاهر بن عاشور: من أن التوبة أعظم شأنًا من التطهر وذلك لسببين:

1- تقلص التوابين على المتطهرين، ففيه دلالة على الاهتمام بالمقدم وتفضيله.

2- المنهج القرآني الداعي إلى ترغيب العبد في العودة إلى ربه، والإنابة إليه، وفتح باب الأمل والرجاء بعد اليأس، والقنوط.

ثانياً: تبديل السيئات حسنات.

من آثار التوبة الأخروية: تبديل السيئات حسنات وذلك فضل من الله عظيم تفضل به على عباده التائبين، قال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهاناً، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (10).

(8) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي 158/1.

تفسير المنار، 361/2.

(9) تفسير التحرير والتوير، 364/2.

(10) الفرقان: الآيات 68....70.

فالتوبة -المقرونة بالعمل الصالح- تكون سببا -بعد فضل الله- في تبديل السيئات حسنات.

فكيف تبدل سيئات التائبين حسنات؟

للمفسرين في ذلك أقوال أعرضها كالآتي:

1- قول القرطبي.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾، قال النحاس: من أحسن ما قيل فيه أنه يكتب موضع كافر مؤمن، وموضع عاص مطيع، وقال مجاهد والضحاك: أن يبدلهم الله من الشرك إلى الإيمان وروى نحوه عن الحسن قال، الحسن: قوم يقولون التبديل في الآخرة، وليس كذلك إنما التبديل في الدنيا يبدلهم الله إيماناً من الشرك وإحصانا من الفجور، وقال الزجاج ليس يجعل مكان السيئة الحسنة ولكن يجعل مكان السيئة التوبة... وروى أبو ذر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "إن السيئات تبدل بحسنات"، وقال أبو هريرة ذلك في الآخرة فيمن غلبت حسناته على سيئاته فيبدل الله السيئات حسنات، وفي الخبر: "ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات فقليل ومن هم قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات" رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكره الثعلبي والقشيري وقيل التبديل عبارة عن الغفران أي يغفر الله لهم تلك السيئات لا أن يبدلها حسنات" (11).

2- قول ابن كثير.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية ﴿ يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية. قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات، فحوّلهم عن الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات...

الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذلك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجده

(11) تفسير القرطبي، 77/13.

مكتوبا عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم - " (12).

3- قول سيد قطب.

قال في معنى الآية السابقة ﴿ فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ هو فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد إلا أنه اهتدى ورجع عن الضلال، وتاب إلى حمى الله ولاذ به بعد الشرود والمتهاة" (13).

4- قول الطاهر بن عاشور.

قال في معنى التبديل من السيئات إلى الحسنات: "وقد جاء هذا التبديل مجمل، وهو تبديل يكون له أثر في الآخرة بأن يعوضهم عن جزاء السيئات ثواب حسنات أضعاف تلك السيئات، وهذا لفضل الإيمان بالنسبة للشرك، ولفضل التوبة بالنسبة للآثام الصادرة من المسلمين" (14).

بعد عرض الأقوال السابقة يمكن أن نستخلص ما يأتي:

1- أن تبديل السيئات حسنات يكون بوضع الحسنة مكان السيئة وذلك في الآخرة.

2- أن التبديل يكون بالمغفرة وذلك في الحياة الدنيا.

وقد رجح القرطبي الرأي الأول، فقال: "فلا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان سيئته حسنة، فعن أبي ذر رضي الله عنه - قال: قال لي صلى الله عليه وسلم - : "اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالف الناس بخلق حسن" (15). وعن أبي ذر رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها: رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا، وكذا، كذا وكذا وعملت يوم كذا، وكذا، كذا وكذا فيقول نعم، لا

(12) تفسير ابن كثير، 5/168-169.

(13) تفسير في ظلال القرآن، 5/2579.

(14) تفسير التحرير والتوير، 19/76-77.

(15) رواه الترمذي كتاب البر والصلة، رقم 1910. واللفظ له. وأحمد كتاب مسند الأنصار رقم 20392. والدرامي الرقاق رقم 20671.

يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له لك مكان كل سيئة حسنة... فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - ضحك حتى بدت نواجذه وقال أبو طویل " كنية شطب الممدود رجل من كندة"، يا رسول الله أرايت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئا وهو في ذلك لم يترك حاجة، ولا داجة إلا اقتطعها فهل له من توبة؟ قال هل أسلمت؟ قال أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله قال نعم تفعل الخيرات وتترك السيئات يجعلهن الله كلهن خيرات قال: وغدراي وفجراي يا نبي الله: قال الله أكبر فما زال يرددها حتى توارى". ذكره الثعلبي قال بشير بن عبيد وكان عالما بالنحو والعربية، الحاجة التي تقطع على الحاج إذا توجهوا، والداجة التي تقطع عليهم إذا قفلوا" (16)«(17).

ولئن كنت أميل إلى الرأي الذي ذهب إليه القرطبي وهو أن التبديل يكون بوضع الحسنة مكلن السيئة في الآخرة فإن ذلك لا يمنع من أن يكون التبديل في الدنيا بمغفرة الذنوب والتجاوز عن السيئات فذلك فضل شامل تفضل الله به على عباده التائبين، وحباهم بكرمه، ومنته حين أيقنوا أن لهم ربا يغفر الذنوب، إن هم جأروا إليه بالدعاء وعادوا إليه بعد تيه وجفاء.

ثالثا: الفوز بالجنة.

من الآثار الأخروية للتوبة، فوز التائب بالجنة التي نالها بالعودة إلى ربه بصدق، وندم على ما قدمت يداه، وهو بذلك قد غلب جانب الخير على جانب الشر، وعمل العمل الصالح الذي يرضى عنه ربه فأثابه جنات تجري من تحتها الأنهار قال تعالى: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَوْثَمْتُمْ بِهَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (18).

إنها الجائزة التي نيلت بالعمل لا بالتقاعس، والكسل، ولذا لا يمكن أن يسوى بين العامل، والخامل، كما لا يمكن التسوية بين أهل النار، وأصحاب الجنة: فأصحاب الجنة في نعيم، وأهل النار

(16) رواه مسلم كتاب الإيمان، رقم 277. واللفظ له. والترمذي كتاب صفة جهنم رقم 2521.

(17) تفسير القرطبي، 77/13.

(18) الأعراف: الآية 42.

في عذاب أليم قال تعالى: ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ (19).

قال الطبري: أي المدركون ما طلبوا، وأرادوا، الناجون مما حذروا⁽²⁰⁾.

إن الجنة التي أعدها الله للمتقين أعدها كذلك للمذنبين التائبين قال تعالى: ﴿ سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ (21).

فمن ظلم نفسه وفعل الفاحشة، واستغفر الله من ذنبه كان جزاؤه الجنة مع المتقين الأبرار، وذلك فضل عظيم من الله تفضل به على عباده التائبين، فجزاهم الجزاء الأوفى بسبب طاعتهم وامثالهم، فهم في الجنة مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ (22).

(19) الحشر: الآية 20 .

(20) تفسر الطبري، 53/14.

(21) آل عمران، الآيات 133...135.

(22) النساء: الآية 69.

إن رجاء لقاء الله، والخوف من عذابه، والطمع في جنته. يدعو العبد إلى نهي النفس عن اتباع الهوى فينال بذلك المقام الأسمى في جنة المأوى قال تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (23).

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تقرر دخول الجنة بالعمل الصالح دون اليأس - حين التقصير - من رحمة الله وفضله.

(23) النزاعات: الآيات 39-40.

الفصل السادس

تصريحات لبعض النائين والتعليق عليها

تمهيد: الأمان في الإيمان.

1- التصريح الأول:

التعليق عليه.

2- التصريح الثاني:

التعليق عليه.

3- التصريح الثالث:

التعليق عليه.

مَهْيَدٌ

لا ينعم الإنسان بالراحة، والأمان إلا في ظل الإيمان الصادق. المرفق بالعمل الصالح وفق ما أمر الله ونهى ابتغاء مرضاته، وطمعا في جنته.

فالسعيد من الناس من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾⁽¹⁾.

والشقي منهم من حُرِمَ هذه النعمة لقساوة قلبه، وبعده عن ذكر ربه، قال تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾⁽²⁾.

فأي الفريقين السابقين أحق بالأمن؟

الإجابة في قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن. وهم مهتدون﴾⁽³⁾.

إن الأمن، والاطمئنان في الرجوع إلى الله وتلك هي الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾.

وقد وعد الله المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالاستخلاف في الأرض والتمكين لدينهم وتبديل خوفهم أمنا.

(1) الزمر: الآية 21.

(2) الزمر: الآية 21.

(3) الأنعام: الآية 83.

(4) الروم: الآية 29.

قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (5).

وقصص العائدين إلى الله -الذين عبّروا عن سعادتهم وأمنهم- كثيرة كثرة الذنوب المقترفة (6). وفي ذلك دليل بين على أن الأمن والأمان في الإيمان، والعودة إلى الله بصدق وإخلاص. وأكتفي في هذا المقال بذكر بعض الأمثلة لهؤلاء العائدين إلى الله.

المثال الأول:

لدانييل موريس مولر -الفرنسي الجنسية الذي تسمى بعد إسلامه، بمحمد أحمد محمود -.

فقد قضى عشرين عاماً يُعْمَلُ العقل للوصول إلى قناعة تشفي قلبه فمنذ عام 1985. وهو يعيش في الجزائر كعامل فني، ويُقَرَّرُ أن أعوامه السابقة على إسلامه كانت خالية من التدين : فلم يعرف طريقاً إلى الكنيسة، ولم يشغل وقته بقراءة بعض الكتب المسيحية.

هذه هي حصيلة معاناة ذلك الجيل الأوربي ومن بعده أجيال تقاسي مرارة الحرمان من الدين، من الأمن، والأمان... فمنذ قدومه إلى الجزائر أحس بأنه في عالم مختلف تماماً عما سبق وشهده في بلده.

الناس هنا أقرب إلى بعضهم البعض! المسافات بين الأفراد تضيق بل تكاد تتلاشى! وقد لاحظ دانيال التردد الدائم والمكثف على المساجد من الكبار، والشباب، والصغار، رجالاً، ونساء، عمالاً، ومهندسين، وأطباء وفلاحين.

وما استرعى اهتمام دانيال، وأخذ بمجامع قلبه وكيانه ما رآه غير باب أحد المساجد من اصطفاة الناس جميعاً صفوفاً متراسة كلهم سواء لا فضل لأبيض على أسود، ولا ميزة لغني على

(5) النور: الآية 53.

(6) اتصلت بالمسؤولين في قطاع العدالة من أجل زيارة بعض دور إعادة التربية لاستكمال بعض الجوانب التطبيقية في هذا الفصل إلا أنه لم يسمح لي بذلك فاكفيت بذكر هذه الأمثلة والتعليق عليها.

فقير هنا فقط يمكن أن يسبق المحكوم الحاكم، والفقير الغني، ولقد كان لاحتكاكه، واختلاطه بأصدقائه الجزائريين في العمل أكبر الأثر في تقريب الإسلام إلى قلبه، وعقله. فقد شهد منهم كل التفهم والمودة والحب، ولم يخلوا عليه بنصيحة، أو مشورة، أو معونة، وهم يعرفون أنه ينتمي إلى بلد احتلهم في يوم من الأيام.

وما زال محمد يعمل عقله حتى انتقل للعمل في القاهرة وكان لذلك أثر كبير في إشهار إسلامه بما لاحظ من تشابه في الحياة والطباع إلى حد كبير في البلدين.

الإسلام إذن هو الذي وحدا! وبه أصبح الشعبان شعبا واحدا! العلاقات الاجتماعية السائدة بين الناس هي: الكرم، المودة فالمسلم يعطي للمحتاج في وقت قد يكون هو نفسه محتاجا إلى الشيء نفسه الذي أعطاه.

وبقيت الخطوة المهمة، وهي النطق بالشهادتين. وهاهو محمد أحمد محمود قد نطقها معطيا لنفسه اسم نبي العالمين. ولمحمد ثلاثة أبناء من مطلقة الفرنسية، وقد سعى جاهدا ليعرض عليهم ما تعلمه من تعاليم الإسلام، ويدعوهم لاعتناق ذلك الدين القيم. كما سعى إلى تعلم اللغة العربية وحفظ كتاب الله، إذ رفيقه في حقيقته المصحف الشريف.

ويقول محمد أحمد محمود إن هناك كثيرا من التشويش الإعلامي على ديننا في أوروبا من خلال الصحافة والإذاعة والتلفاز وهو منطق الكفر في كل زمان فقد قالها الذين كفروا من قبلهم قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾⁽⁷⁾، وفي حدود إمكاناته الشخصية سيحاول أصدقاءه الصحفيين الفرنسيين ليقنعهم بالإسلام، ويدحض الافتراءات التي تثار حوله بين الحين والحين⁽⁸⁾.

(7) فصلت: الآية 25.

(8) أسماء أبو بكر الجهنني، من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان مشاهير عرفوا الطريق، ص: 109...111. بتصرف بسيط. نقلا عن مجلة المسلمون. العدد 39 الصادر في نوفمبر 1985.

إن ما لا حظه -دانيال- أثناء إقامته في الجزائر، والقاهرة، من وحدة، وتأزر بين المسلمين هو الذي دعاه- بعد توفيق الله- للنطق بالشهادتين، حقا إن هذه الأمة أمة الوحدة، والتوحيد قال تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾⁽⁹⁾ وقال تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾⁽¹⁰⁾.

فهلا تفهم المسلمون هذه الحقيقة، ودعوا إلى هذا الدين الحق بتوحيدهم وتوحيدهم، وهجروا ما نهى الله عنه من الفرقة والاختلاف، والتزاع في قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا، واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾⁽¹¹⁾ وقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك ينفذ الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾⁽¹²⁾.

إنما آل إليه حال المسلمين من التنازع والاختلاف والفرقة والعرض السيئ للإسلام هو الذي دعا إلى الإعراض عن دين الله ولذلك تضرع المؤمنون الصادقون إلى الله سبحانه وتعالى أن لا يجعلهم فتنة للذين كفروا وأن يغفر لهم ما صدر عنهم من أعمال تنافي التعاليم الإسلامية قال تعالى: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾⁽¹³⁾.

فلنقتد في دعوتنا لدين الله برسوله الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- فهو إسوتنا وقدوتنا قلل تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾⁽¹⁴⁾.

(9) الأنبياء: الآية 91.

(10) المؤمنون: الآية 53.

(11) آل عمران: الآية 103.

(12) آل عمران: الآية 103.

(13) الممتحنة: الآية 05.

(14) الأحزاب: الآية 21.

ومما أمره به ربه في شأن الدعوة قوله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (15).

وليس من الحكمة أن يدعو المسلم لاتباع ما أمر الله ثم لا يلتزم هو بذلك ويكتفي بالقول الذي لا يصدقه الفعل والعمل، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (16).

وقال أبو الأسود الدؤلي:

هلا لنفسك كان ذا التعليم

يا أيها الرجل المعلم غيره

عار عليك إذا فعلت عظيم

لا تنه عن خلق وتأني مثله

فإن انتهت عنه فأنت حكيم

وابدأ بنفسك فانها عن غيرها

بالقول منك وينفع التعليم

فهناك تقبل إن وعظت ويُقتدى

إن تطبيق المسلمين للتعاليم الإسلامية في جميع مناحي الحياة - عن علم، وتبصر، وإخلاص لله رب العالمين - ليعد من المناهج القويمة في الدعوة إلى دين الله القيم وذلك ما كان عليه صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتابعين من بعدهم فكانت لهم السيادة والقيادة، وفتحوا قلوب العباد قبل البلاد، وأعزهم الله بعد أن كانوا أذلاء. قال تعالى: ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ (17).

وقال عمر - رضي الله عنه - : "كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام ومهما طلبنا العزة في غيره أذلنا الله".

(15) النحل: الآية 125.

(16) الصف: الآيتان 02-03.

(17) المنافقون: الآية 08.

المثال الثاني:

للمذبةعة التلفزفونفة - كرفمان حمزة- وهف من أوائل المءببات فف الوسط الإءلامف؁ ءفء ارءءء المءاب عام 1972. فرءع سبب ذلك إلى فضل الله وكرمه.

وءقول : لقد نشأت كأف فءاة فف بفة عصفرة "موءفرن" إلا أنف من فضل الله كئت أرف والءف فصفف فكئت أصلف منذ طفولف. وف سن 19؁ كئت قد أنءب طفلفن؁ وكئت أستمع للقرآن الكررم بصفة ءائمة من إءاعة القرآن الكررم؁ ثم ءءءمء للعمل فف التلفزفون لءءءم برامء ءفنف للمرأة والطفل؁ وكئت سافرة.

وقء وءءف لف ءعوة عام 1971م من كلفة طب المنصورة لإلقاء مءاضرة بالءامعة؁ وكئب فف نءاف ءءعوة. رءاء للمرأة بءطففة الرأس؁ والباء ماعءا الوجه؁ والكففن؁ ءعءب من هءا الشرط ولم اقءنع ولرءبف فف الاءصال بالءالباء ارءءف بذلة وءطفف رأسف وف القطار كان اللقاء بالشفخ صلاء أبو إسماعفل؁ وكئت أءءء معه وأنا أقءره؁ وعءء اقءربنا من المءطة قال لف فءب أن ءءهف لءهذفب مظهرك فقد لاءظ بعضا من شعر رأسف مكشوفاف؁ شعرء بالضفق من هءة الملاءظة.

وعءء وصولنا وءءنا من ضمن المءاضراء الأستاذة - نعمء صءقف - الفف ألقء كلمة عن المءاب ثم ألقف أنا كلمة عن الإسلام والمرأة ثم ءاء ءور الشفخ -صلاء أبو إسماعفل- وراح فشرح الآفاء القرآنفة الفف فقول ففها رب العزة : ﴿ولفضرن بفمرهن على ءفوبهن﴾ (18).

وقال إن المءار : هو عطاء الرأس؁ وأن المءف فءءة العنق؁ وأن اللام لام الأمر؁ وأن الأمر من رب العزة؁ وأن معنف هءة الآفاء أن على المرأة أن ءففف شعرها ءمافا؁ ولا فظهر منها إلا الوجه؁ والكفان؁ أفضاف ءففف البءن كله قال ءعالف : ﴿فا أفا النبف قل لأزوافك وبناءك ونساء المؤمنفن فءفن علفن من ءلابفهن﴾ (19) بإطالة الثوب وقال الله ءعالف : ﴿وما كان لمؤمن؁ ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن فكون لهم المءرة من أمرهم﴾ (20).

(18) النور: الآية 31.

(19) الأءراب: الآية 59.

(20) الأءراب: الآية 36.

وهنا نقول -كريمان حمزة- سقط في يدي وصرت متشوقة إلى الالتزام بأي أمر يأمر الله به.

وعند فهمي لآيات الحجاب وجدت كل ذرة في بدني تستجيب لأمر الله وتحسست بيدي رأسي لأجد أن الخمار تحكم، وقررت ألا أرفعه إلى أن ألقى الله.

وفي طريق العودة إلى القاهرة نظرت إلى الطريق الزراعي كانت الشمس تتجه إلى الغروب وكان قرص الشمس في غاية الجمال، يرسل أشعة ذهبية على أوراق الشجر، والزهور والأرض الزراعية الشاسعة الممتدة، وكانت الألوان شديدة الجمال، فقلت في نفسي إن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل هذا الجمال وهو الجميل الذي يحب الجمال.

فهل يا ترى إذا وضعت الخمار على رأسي وأخفيت أجمل ما في وهو شعري؟ هل سأكون قبيحة المنظر؟ هل سيكون المظهر متخلفاً أو متأخراً؟ هل سيكون الشكل قبيحاً؟ لا يمكن طالما أن الجميل هو الذي قرر هذه الآيات .

وتقول -كريمان حمزة- لقد رُفضت من المسؤولين في التلفزيون بسبب الحجاب، لكن الله وضع لي القبول، وأصبحت أتحدث عن الإسلام في التلفزيون، أما بالنسبة للأسرة فلم يكن هناك ترحيب من الزوج ولا من الأهل، وبعد شهور والحمد لله أصبح الكل يرحب، والمهم أن يتقبل الله سبحانه وتعالى.

وتؤكد كريمان في الأخير، على قراءة القرآن، والأحاديث النبوية الشريفة، من أجل التحصين الداخلي، وتضيف: "يجب أن نكون المنتجات، المتفوقات، الملتزمات، لأن المظهر يشكل جزءاً في الإسلام وليس كل شيء" (21).

التعليق على المثال.

تلك هي قصة - كريمان حمزة- وغيرها كثيرات ممن فضلن الستر على السفور، منيسات إلى الله طالبات العفو، والمغفرة على ما مضى من حياة اللهو والمجون.

إن حياة المرأة في الإسلام، تقوم على الستر، ولهذا الغرض فرض الله الحجاب، الذي هو عبادة كسائر العبادات تنال به المرأة أعلى الدرجات في الدنيا، والآخرة، وذلك إن ارتدته طاعة لله ورسوله.

(21) المرجع نفسه، ص: 76....79. بتصرف قليل. وهو حديث أدلت به الأستاذة كريمان حمزة إلى مجلة صباح الخير في شهر ديسمبر عام 1989.

فالمؤمن لا خيار له فيما قضى الله ورسوله قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ، ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ (22).

إنما يقع من تقصير في القيام بالواجبات الشرعية من طرف الأبناء يرجع أغلبه إلى الأسرة التي لم تتعهدهم منذ الصغر بالتربية الإسلامية، ويظهر هذا التقصير في كثير من الواجبات الشرعية كأن تكون البنت كاسية عارية وتلقى التأييد والتشجيع من طرف بعض أفراد أسرتها الذين يزينون لها ما تقوم به بحكم الحرية الشخصية، والتقدم، والعصرية.

روى لي أحد المساعدين التربويين يعمل في إحدى الثانويات قال: " قلت لإحدى الطالبات -وقد لبست سروالاً ضيقاً- البسي لباساً محتشماً، فذكرت ذلك لأمها فقدمت إلى الثانوية لتقول: إنني ما سعدت، وفرحت إلا حين أقنعت ابنتي بلبس هذا السروال فكيف تأمرونها بخلعه واستبداله بغيره؟".

ومثل هذه الأم، المعلمة التي لاحظت إحدى تلميذاتها وقد ارتدت الحجاب -وهي لم تتجاوز العاشرة من عمرها - فقالت لها : اتركي ذلك يا بنيتي حتى تكبري فقالت التلميذة البريئة- التي نشأت تنشأة إسلامية- هاأنت يا معلمتي قد كبرت ولم ترتد الحجاب .

وغير هذين المثالين أمثلة كثيرة يظهر من خلالها الآثار السلبية للقدوة السيئة على مستقبل الأمة، والأجيال، والأخطر في الأمر أن تصدر هذه الأفعال من الأم التي كان يجب أن تكون كما وصفها حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق.

(22) الأحزاب: الآية 36.

ومن المعلم الذي قال عنه شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر حولا

إنه لا حياة للأمة إلا في ظل أسرة، ومدرسة تستمدان تربيتهما للأبناء من المبادئ والقيم الإسلامية قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وإنه إليه تحشرون﴾ (23).

المثال الثالث : لشاب مدمن.

يروى قصته فيقول : قبل أن أعني الحياة صحوت على مأساة عائلية، فقد طلق والدي أُمي، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ازداد تعقيدا حينما قررت أُمي الزواج، واختار أبي زوجة أخرى فأصبحت تائها ضائعا بين الاثنين، وكما يقولون: "أمران أحلاهما مر".

وفي ظل هذه الظروف العائلية غير الطبيعية ومع التفكك، والاضمحلال الأسري سسقطت في هوة الإدمان! مع رفقاء السوء، ووجدت معهم الملاذ الذي افتقدته، والعطف والحنان الذي حرمت منه، طبعاً لم يكن عطفاً، واهتماماً خالصاً وإنما من أجل الوصول إلى أغراضهم الخبيثة، أصبحت أقضي معظم وقتي مع أولئك الأشرار ما بين شرب وإدمان، وحينما يسألني أبي أين كنت؟ أقول له عند أُمي، وحينما تستفسر أُمي عن غيابي أقول لها كنت عند أبي، وهكذا يظن كلاهما أنني موجود وكنت مفقوداً، ويعتقد كلاهما أنني حاضر، وكنت في تلك الأثناء الغائب الوحيد: الغائب عن الحيلة الساقط في التيه والضياع.

كان هذا هو المنعطف الذي ألقى بي في هاوية الإدمان ولكن كيف خرجت إلى شط الأمان؟

(23) الأنفال: الآية 24.

تلك قصة أخرى سأرويها لكم:

ففي ليلة من الليالي وبعد سهرة تطايرت فيها الرؤوس وتلاعبت بها المخدرات خرجنا من "الوكر" لتنفس الهواء العليل ليزيدنا طربا على طرب !! ونشوة إلى نشوة!! وبينما كنا في سعادة موهومة غامرة وغيابات كاذبة إذ بالسيارة تنقلب عدة مرات كنا أربعة من الشياطين داخل السيارة، توفي الثلاثة ولم يبق إلا أنا، نجوت بأعجوبة بفضل الله تعالى، ومكثت في المستشفى عشرة أيام كاملة ما بين الحياة، والموت: غيبوبة كاملة تماما كنتك التي كنت أحيها من قبل، وأفقت من الغيبوبة الصغرى عقب الحادث على حقيقة الغيبوبة الكبرى التي كنت أحيها، واكتشفت نفسي من جديد وشعرت بالإيمان بعد أن مات الإحساس لدي، وعدت إلى الله ضارعا مستغفرا حامدا شاكرا لأنه تولاني أنقذني من موتتين : موت السيارة، وموت الإدمان، وخرجت من المستشفى إلى المسجد مباشرة، وقطعت كل صلتني بالماضي، وأحمد الله أني دخلت المسجد بدلا من السجن، والقرآن الكريم هو أوفى صديق لي يلازمني وألزمه.

هذه قصتي باختصار، وأنصح إخواني الشباب وغيرهم بالخطر من رفقاء السوء الذين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحل من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب.
كما أنصحهم بالبعد عن المخدرات فإنها رأس كل خطيئة والله الموفق" (24).

التعليق على المثال.

يتجلى من خلال قصة الشاب المدمن الآثار السلبية لظاهرة الطلاق، والتي يجني ثمارها المرة الأبناء. كهذا الابن الذي تخطفته أيادي العبث والجون ودفعت به إلى الإدمان وركوب المخاطر والأهوال فعلى حياة التيه والحرمان.

إن الإدمان فعل معطل للعقل الذي جعله الشارع شرطا للتكليف، وأمر بالمحافظة عليه باحتساب الخمر والمسكرات : قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ

(24) محمد بن عبد العزيز المسند العائدون إلى الله ص: 54-55 أخذنا عن مجلة عكاظ العدد: 8641.

عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر، والميسر، ويصدكم عن ذكر الله، وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴿25﴾.

وما تنشره الجرائد اليومية عن المخدرات لأمر يثير الدهشة والتحسرا! فنقرأ مثلا في جريدة الخبر في الصفحة الأولى العناوين الآتية:

من منطقة عبور إلى موطن للاستهلاك .

الجزائر أمام خطر بارونات المخدرات.

إغراق السوق الجزائرية مع تخفيض الأسعار للتخلص من منتوج السنة الماضية في المغرب.

شبكة قهريب -الهيروين- تنطلق من البقاع اللبنانية مروراً بإسبانيا ثم الجزائر.

ضبط 2014 كلغ من القنب الهندي في شهر ماي فقط، وانفردت الجهة الغربية بأكبر كمية (26).

وتكتب الجريدة ذاتها في الصفحة الرابعة تحت عنوان ماذا وراء تعاطي المخدرات - فتقول:

" أرجع فريق من علماء الاجتماع أسباب تعاطي المخدرات إلى دوافع اجتماعية مثل التفكك الأسري والبطالة والتركيب السكاني، والغزو الإعلامي الغربي، والموقع الجغرافي والأسباب التربوية والاقتصادية."

وتكتب في الصفحة الخامسة تحت عنوان المخدرات في المؤسسات التربوية فتقول: " كشفت

دراسة قام بها فريق من الباحثين الجزائريين بمعهد علم الاجتماع ببوزريعة تعاطي 37 تلميذا من بين 51 يتعاطون المخدرات خاصة منها الحبوب الطبية من نوع "لارطان" و"الفوستان" وبعد أخذ عينة لـ 51 تلميذا لقسم السنة السابعة أساسي يتراوح سنهم ما بين 11 سنة و 16 سنة. مؤسسة باستور بالجزائر العاصمة. ومن بين هؤلاء المتعاطين 12 يتعاطونها داخل المؤسسة والبقية يتعاطونها خارج المؤسسة،

(25) المائدة: الآيتان 92-93.

(26) جريدة الخبر الأربعاء 9 جوان 1999م الموافق لـ 24 صفر 1420هـ. السنة التاسعة العدد 2576. ص: 1.

ويتواصل تعاظم المخدرات في الأطوار الأخرى لا سيما في الطور الثانوي حيث تم إحصاء 32 طالباً يتعاطون المخدرات من بين 60 كعينة لإجراء البحث وذلك في إحدى الثانويات بولاية وهران.

وأرجع هؤلاء الباحثين تفشي هذه الظاهرة في السلك التربوي إلى عامل هو قبل كل شيء ضعف الرعاية والتربية، في البيت حيث أصبح الوالدان يقصران دورهما في توفير الأكل، والشرب، واللبس لأولادهم دون التدخل في حياتهم بالتوجيه والنصح والرعاية الكاملة فإنهم بذلك يفسحون المجال لجليس السوء ليحل مكانهم في توجيه أولادهم نحو طريق الرذائل وخبائث الأعمال. إلى جانب ضعف الثقة بالنفس لدى الطلبة سيما خلال فترة الامتحانات حيث يلجأون إلى المهدئات، والمنومات لكسب نشاط أكثر، أو الهروب من الوضع إلى جانب كل هذه الأسباب فإن الممولين يلجأون إلى الشباب الذين لا يكلفون جهداً كبيراً للإقناع "ع سعاد.

تلك هي الحقيقة المرة، وذلك هو واقع الشباب - قلب الأمة النابض - وحامي حماها، ودرعها الحصين ضد الأعداء والكائدين، إنه لا خير في شباب لا يقوم بواجبه نحو ربه، وأمه يقول الشاعر عيسى إبراهيم الناعوري:

أحقق فيه مني أمتي	شبابي إذا كنت لا أستطيع
لأسمو فيه إلى القمة	وإن كنت لا أستهين الصعاب
ولا كان زهوي ولا قوتي	فلا كان هذا الشباب العقيم
إذا كنت أحيأ بلا عزتي	ولا كنت يوماً حليف الحياة

وأبحاد أممي الغالية	وهبت شبابي لشعبي الأبي
ووحدها كل أيامه	لمجد العروبة في العالمين
يجوع إلى اللقمة الجافية	لما كان في أممي في الحقول
يكافح في خيمة باليه	ومن كان في عاصفات الشتاء

لمن يدرأون العذاب بالسلاح
 لمن يحرسون حدود البلاد
 وللعاملين رفاق الفؤوس
 أرطب أنفاسهم بالحنان
 وبينون بالدم مجد الوطن
 ويحمونها من عوادي المحن
 رفاق المعاول طول الزمن
 وأغسل عنها العنا والشجن⁽²⁷⁾.

فهل يمكن الشباب من القيام بهذا الدور؟
 وهل يُقضى على الأسباب الدافعة للإدمان؟
 كل ذلك ممكن إذ عرف مَكْمَنُ الداء .

إنه لا عاصم للشباب من الوقوع في مثل هذه المعاصي، والمحرمات التي تدمر حياة مقترفيها،
 وتفقدتهم رشدهم، وتغضب ربهم، إلا التربية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه
 وسلم- .

وهذا ما عبر عنه أصحاب القصص السابقة العائدون إلى الله الذين اتخذوا القرآن خليلاً ورفيقاً
 في حياتهم فهو العاصم من الزيغ، والضلال، والهادي إلى التي هي أقوم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 يَهْدِي لِلتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة
 أعدنا لهم عذاباً أليماً﴾⁽²⁸⁾.

(27) أبيات من قصيدة لعيسى إبراهيم المولود ببلدة ناعورة بالأردن سنة 1918. وجدتها مكتوبة في كراسي بتاريخ 11 جانفي 1967 الموافق

لـ 11 شوال 1387 هـ. وكنت وقتها طالبا في المرحلة الإعدادية. معهد التعليم الأصلي بقسنطينة.

(28) الإسراء: الآية 09.

الخاتمة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي كتب على نفسه الرحمة، وتفضل على عباده بالتوفيق للتوبة، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام العابدين، محمد -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أشكر الله سبحانه وتعالى أن يسر لي إنجاز هذا البحث والذي أختمه بذكر بعض النتائج والثمرات المستخلصة كما يأتي:

1- إن المؤمن لا يقوى على معصية خالقه، وإن وقع منه ذلك فلضعفه البشري، وفطرته التي فطره الله عليها ولا تعد هذه الفطرة مبرراً يتعلل به بعض العاصين حين إقدامهم على المعصية بقولهم: "لسنا ملائكة أو أنبياء" ناسين أن حمى الله محارمه، وأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فالمؤمن وقاف عند حدود الله،: ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾⁽¹⁾.

2- وجوب التوبة بعد ارتكاب الذنب مباشرة، وأن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

3- المصرون على المعاصي، والمجاهرون بما لا ينالهم عفو الله، ورحمته، فالله قد كتب الرحمة لعباده المتقين المحسنين، قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾⁽²⁾ وقال: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾⁽³⁾.

والفهم الخاطئ للنصوص هو الذي جعل البعض يعتقد أن الله سيثملهم برحمته، وإن أصروا وجاهروا بالمعصية.

4- التوبة عمل فردي يقوم به المخطئ بنفسه، ولا ينوب عنه غيره فيه إذ لا يتنظف ثوب الإنسان إذا غسل غيره ثوبه، ولن يغني عنه -في قبول التوبة- انتماؤه الاسمي للإسلام أو انتسابه إلى أسرة تائبة عابدة.

(1) الطلاق: الآية 01.

(2) الأعراف: الآية 156.

(3) الأعراف: الآية 55.

5- اقتران التوبة في القرآن الكريم بالعمل الصالح قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا، وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾⁽⁴⁾.

6- إن من أثار التوبة تحقيق التوازن بين الطاعة، والمعصية: فالعائد إلى الله بعد المعصية -إن لم يكن من المجاهرين- قد علم أنه عصى جباراً فيتذلل، وينكسر فيكون ذلك سبباً في استقامته، والطائع الذي لا يمين على الله بطاعته قد علم أن الله يستحق العبادة فيطيعه دون مفاخرة ولا منة، وذلك ما يؤدي إلى الحياة السعيدة.

ذكر الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- في كتابه الجانب العاطفي من الإسلام كلمات لابن عطاء الله إسكندري تم شرحها بإيجاز ومن هذه الكلمات: "ربما فُتِحَ لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قضي عليك بالذنب فكان سبب الوصول. معصية أورثت ذلاً، وانكساراً خيراً من طاعة أورثت عزاً، واستكباراً". ثم قال: "الذنوب التي تؤرق أصحابها، وتقض مضاجعهم وتسرع بهم إلى المتاب لا تعد ذنوباً بعدما غسلها الندم، وتحولت إلى حادٍ يحث الركاب إلى رب الأرباب"⁽⁵⁾.

7- المنهج القرآني الحكيم في معالجة النفس البشرية، باتباع أسلوب الترغيب، والترهيب قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾⁽⁶⁾.

إنه منهج من يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، وما توسوس به نفس الإنسان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾⁽⁷⁾ وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽⁸⁾ فمن أراد إصلاح النفس، وتهذيبها فعليه بالمنهج القرآني.

⁽⁴⁾ الفرقان: الآيتان 70-71.

⁽⁵⁾ الشيخ محمد الغزالي الجانب العاطفي من الإسلام، ص: 157.

⁽⁶⁾ الحجر: الآيتان 49-50.

⁽⁷⁾ ق: الآية 16.

⁽⁸⁾ الملك: الآية 14.

8- الله تعالى لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، ونفع الطاعة، وضرر المعصية يعود على الإنسان، والله هو المتفضل بالتوفيق إلى التوبة فهو صاحب الفضل العظيم.

9- الناس: إما تائب، أو ظالم قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁹⁾. وقد زود الله الإنسان بعزم يجعله يختار طريق التوبة، أو طريق الظلم والغواية.

10- من نتائج هذا البحث النفع العظيم الذي عاد عليّ شخصياً فقد وفقني الله لفهم كثير من الآيات، والأحاديث النبوية، وهو ما سهل عليّ العمل بما جاء فيها.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يثبتني على ذلك ويوفق غيري لما وفقني إليه.

11- الطاعة غرس طيب يثمر حب الله، ورضوانه، والمعصية غرس خبيث يثمر غضب الله وسخطه، وهل يستوي الخبيث والطيب؟ قال تعالى: "قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ" ⁽¹⁰⁾. وأختم بهذه الدعوات الصادرة من التائبين إلى ربهم والعائدين إليه:

قال تعالى: "رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" ⁽¹¹⁾.

وقال: "رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" ⁽¹²⁾.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

⁽⁹⁾ الحجرات: الآية 11.

⁽¹⁰⁾ المائدة: الآية 102.

⁽¹¹⁾ الممتحنة: الآية 04.

⁽¹²⁾ غافر (المؤمن): الآيات 06-07-08.

الفهارس

- أولاً: فهرس الآيات.
- ثانياً: فهرس الأحاديث .
- ثالثاً: فهرس الأشعار.
- رابعاً: فهرس الأعلام.
- خامساً: فهرس المصادر والمراجع.
- سادساً: فهرس الموضوعات.
- تصويب الأخطاء.

أولا: فهرس الآيات والنثر آية:

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(2) سورة البقرة.		
- "ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين	1	أ-19
- "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين".	220	ب-157
- "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"	285	7-126
- "فيهما إثم كبير ومنافع للناس"	217	9
- "فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه"	201	10
- "فمن خاف من موص جنفًا أو إثماً"	181	10
- "ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا"	281	12
- "فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق....."	196	12
- "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض..... ولكن لا يشعرون"	11.10	13
- "ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين..... هم المفلحون"	4.3.2.1	19
- "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا..... ما لا تعلمون"	168.167	22.21
- "إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم"	271	24.23
- "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب..... وفي الرقاب"	176	24
- "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض..... بغافل عما يعملون"	84	24
- "وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم..... وكان من الكافرين"	33	26
- "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله..... فهم لا يعقلون"	171.170	33
- "إذ تبرا للذين اتبعوا من الذين اتبعوا..... كما تبرا منا"	167.166	34
- "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا..... بما كانوا يكذبون"	9	41
- "فأذكروني أذكركم".	151	42
- "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص... لعلكم تتقون".	179.178	48.47
- "ود كثير من أهل الكتاب يأتي الله بأمره".	109	54
- "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى..... المهتدين".	16	94
- "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها".	285	94

132.122.96	36	- "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه".
100-109	80	- "من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته..... خالدون".
106	280	- "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله..... لا يظلمون".
122	35	- "اهبطوا بعضكم لبعض عدو..... إلى حين".
122	267	- "والله يعدكم مغفرة منهم وفضلا والله واسع عليم".
123	37...34	- "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة..... ولا هم يحزنون".
125.124	123	- "لا ينال عهدي الظالمين".
126	285	ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
135	47	- "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم.... وعلى العالمين".
137	62	- "وإذ قلتم يا موسى لن نصبر..... فإن لكم ما سألتم".
138	66	- "إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة..... من الجاهلين".
138	51	- "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة..... ظالمون".
139	74	- "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك..... وما الله بغافل عما تعملون".
140	53...50	- "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة..... هو التواب الرحيم".
		(3) آل عمران.
108.96.62.8	135	- "والذين إذا فعلوا فاحشة..... إلا الله".
32	118	- "قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون".
32	64	- "يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم..... أفلا تعقلون".
44	61	- "ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين".
55	134	- "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس..... المحسنين".
99.98	133.132.1	- "واتقوا النار التي أعدت للكافرين..... للمتقين".
	31	
169....154	103	- "واذكروا نعمة الله عليكم..... بنعمته إخوانا".
157	31	- "قل إن كنتم تحبون الله..... غفور رحيم".
163	135.133	- "سارعوا إلى مغفرة من ربكم..... ونعم أجر العاملين".
		(4) النساء.
8	18	- "وليست التوبة للذين يعملون السيئات".
12	42	- "يومئذ يود الذين كفروا..... حديثا".
19	135	- "يا أيها الذين آمنوا..... ضلالا بعيدا".
28	120	- "يعدّهم ويمنّهم وما يعدّهم الشيطان إلا غرورا".

98.87.41	47	"إن الله لا يغفر أن يشرك به.....إنما عظيمًا".
47	92	"ومن يقتل مؤمنا متعمدا.....عذابا عظيمًا".
49	31	"إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه.....كريمًا".
54	32	"ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم.....من فضله".
62	14	"ومن يعص الله ورسوله.....عذاب مهين".
83	63	"ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك.....ثوابا رحيمًا".
117...114	18.17	"إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء.....عذابا أليما".
128	162	"إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح.....داود زبورًا".
135	164	"رسلا مبشرين ومنذرين.....بعد الرسل".
163	69	"ومن يطع الله والرسول.....وحسن أولئك رفيقا".
(5) المائة		
10	65	"لولا ينهاهم الربانيون والأحبار.....السحت".
10	04	"فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم.....".
10	03	"ولا تعاونوا على الإثم والعدوان.....".
11	127	"فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين.....".
31...28	91	"إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم.....متتهون".
33	104	"وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل.....ولا يهتدون".
48	38	"والسارق والسارقة.....عزيز حكيم".
63	39	"فمن تاب من بعد ظلمه.....غفور رحيم".
98	37	"لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة.....غفور رحيم".
100.99	81.80	"لعن الذين كفروا من بني إسرائيل.....يفعلون".
136	22	"إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا.....من العالمين".
138	23	"يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة.....فتنقلبوا خاسرين".
138	26	"فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون.....".
138	27	"قال رب إني لا أملك إلا نفسي.....الفاسقين".
139	13.12	"ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل.....قلوبهم قاسية".
155	56	"يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم.....والله واسع عليم".
176.175	93.92	"يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر.....فهل أتم متتهون".
(6) الأنعام		
21	145	"فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا.....بغير علم".

24	39	- " ما فرطنا في الكتاب من شيء".
37	119	- " وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم..... بالمعتدين".
58	66	- " قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا..... لعلهم يفقهون".
97	166	- "ولا تكسب كل نفس إلا عليها..... وزر أخرى".
128	87	- "وإسماعيل واليسع..... على العالمين".
166...153	83	- "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون". (7) الأعراف.
14	127	- "أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض".
21	31	- "قل إنما حرم ربي الفواحش..... ما لا تعلمون".
26	11	- "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين".
26	14.13	- "قال انظري إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين".
27	16	- "قال فيما أغويتني..... أكثرهم شاكرين".
121-28	21	- "وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين".
30	201	- "إن الذين اتقوا..... مبصرون".
33	28	- "وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا".
34-33	38	- "ربنا هؤلاء أضلونا..... لا تعلمون".
52	146	- "سأصرف عن آياتي..... بغير الحق".
55	31	- "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المفسرين".
59	82....79	- "ولو طأ إذ قال لقومه..... من الغابرين".
60	81.....80	- "ولو طأ إذ قال لقومه..... مسرفون".
61	84	- "وأمطرنا عليهم مطرا..... المحرمين".
84	18	- "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها".
115	98	- "أفأمنوا مكر الله..... الخاسرون".
121	18	- "ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة..... من الظالمين".
122	22	- "ربنا ظلمنا أنفسنا..... من الخاسرين".
124.123	24...18	- "ويا آدم اسكن أنت..... ومنها تخرجون".
135	141	- "وإذ نجيناكم من آل فرعون..... من ربكم عظيم".
136	160	- "وأوحينا إلى موسى..... أنفسهم يظلمون".
137	138	- "فأتوا على قوم يعكفون..... يتجهلون".
140	153...148	- "وأتخذ قوم موسى..... لغفور رحيم".

140	156	- "واكتب لنا في هذه الدنيا.....يومنون".
152	96	- "ولو أن أهل القرى آمنوا.....والأرض".
162	42	- "ونودوا أن تلکم الجنة.....تعملون".
180	156	- "ورحمي وسعت كل شيء.....يؤمنون".
180	55	- "إن رحمة الله قريب من المحسنين".
		(8) الأنفال.
20	24	- "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم".
32	22	- "إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون".
174	34	- "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا.....تحشرون".
		(9) التوبة.
11	67	- "إن المنافقين هم الفاسقون".
18	35...34	- "الذين يكتزون الذهب والفضة.....تكتزون".
20	32	- "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم.....الكافرون".
44	120	- "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين".
48	104	- "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها".
48	60	- "إنما الصدقات للفقراء.....عليهم حكيم".
62	73	- "وعد الله المؤمنين.....هو الفوز العظيم".
84	118	- "لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار".
85	105	- "ألم يعلموا أن الله.....التواب الرحيم".
86	117	- "لقد تاب الله.....رؤوف رحيم".
88	113	- "التائبون العابدون.....وبشر المؤمنين".
93.92	103	- "وآخرون اعترفوا بذنوبهم.....غفور رحيم".
100...95	119	- "ثم تاب عليهم ليتوبوا".
146	119	- "وعلى الثلاثة الذين خلفوا.....التواب الرحيم".
149	27	- "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.....عزيز حكيم".
157	24	- "قل إن كان آباؤكم.....الفاسقين".
		(10) يونس.
06	91	- "الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين".
06	90	- "آمنت بالذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين".
08	27	- "والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها".

15	81	- "إن الله لا يصلح عمل المفسدين".
131..129	98	- "فلولا كانت قرية..... إلى حين".
150	26	- "للذين أحسنوا الحسنى..... فيها خالدون".
		(11) هود.
09	10	- "ولئن أذقناه نعماء بعد..... السيئات عني".
09	77	- "وجاءه قومه يهرعون إليه..... السيئات".
09	114	- "إن الحسنات يذهبن السيئات".
59	80...77	- "ولما جاءت رسلنا لوطا..... ركن شديد".
62..61	84	- "فلما جاء أمرنا..... من الظالمين بعيد".
74.73	52	- "استغفروا ربكم..... مدرارا".
74	61	- "هو أنشأكم من الأرض..... محيب".
74	90	- "واستغفروا ربكم..... ودود".
76	74	- "إن إبراهيم لحليم أواه منيب".
76	88	- "وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".
82	113	- "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار".
82	79	- "لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد".
128	119	- "وكلا نقص..... فؤادك".
152	117	- "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون".
		(12) يوسف.
07	97	- "قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين".
145-17	53	- "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء".
		(13) الرعد.
145-43	29	- "ألا بذكر الله تطمئن القلوب".
		(14) إبراهيم.
ط	09	- "وإذ تأذن ربكم..... لشديد".
		(15) الحجر.
28	40....39	- "قال رب بما أغويتني ... المخلصين".
181	50.....49	- "نبأ عبادي ... الأليم".
		(16) النحل.
22	25.24	- "وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم... ألا ساء ما يزرون".

29	100.99	- " إنه ليس له سلطان... مشركون".
52	23	- " إنه لا يحب المستكبرين".
170	125	- " أدع إلى سبيل ربك... بالمهتدين"
		(17) الإسراء
178.أ	09	- " إن هذا القرآن يهدي للتي... عذابا أليما".
14	04	- " لتفسدن في الأرض مرتين".
22	85	- " ويسألونك عن الروح... غلا قليلا".
29	62	- " أرأيتك هذا الذي... إلا قليلا".
29	65	- " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا".
58	16	- " وإذا أردنا أن هلك قرية... تدميرا".
58	52	- " وإن من قرية إلا نحن... مسطورا".
58	07	- " إن أحسستم أحسستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها".
		(18) الكهف
11	49	- " ألا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه".
21	99	- " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا.....صنعا".
26	49	- " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.....أمر ربه".
43	110	- " فمن كان يرجو لقاء ربه.....ربه أحد"
		(20) طه
122-6	121	- " وعصى آدم ربه فغوى".
122-43	124...122	- " ومن أعرض عن ذكرى.....وكذلك اليوم تنسى".
117.101.95.89	80	- " وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى".
121	117	- " هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى".
121	114	- " إن هذا عدو لك ولزوجك.....فتشقى".
121	115	- " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما".
124	120...112	- " ولقد عهدنا إلى آدم.....لا يضل ولا يشقى".
137	79	- " يا بني إسرائيل قد نجيناكم.....فقد هوى".
141	98...83	- " قال فإنا قد فتنا قومك.....يوم القيامة وزرا".
		(21) الأنبياء
14	22	- " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا".
21	07	- " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون".

130.129	87.86	- "وذا النون.....تنجي المؤمنين".
169	91	- "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون".
		(22) الحج.
41	31	- "ومن يشرك بالله..... في مكان سجين".
		(23) المؤمنون.
14	72	- "ولو اتبع الحق أهوائهم..... ومن فيهن".
32	67	- "ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون".
37	17	- "ولو اتبع الحق أهوائهم لفسدت السماوات والأرض".
169	53	- "وغن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون".
		(24) النور.
93	19	- "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة..... والآخرة".
113	31	- "وتوبوا إليه جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون".
167	53	- "وعد الله الذين آمنوا..... هم الفاسقون".
171	31	- "وليضربن بخمرهن على جيوهن".
		(25) الفرقان.
13	21	- "لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا".
32	44	- "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون..... أضل سبيلا".
35	43	- "أرأيت من اتخذ إلهه هواه..... وكيلا".
42	02	- "الذي له ملك السماوات..... فقدره تقديرا".
87-47	68	- "ولا يقتلون النفس التي..... مهانا".
159-87	70...68	- "والذين لا يدعون مع الله..... غفورا رحيمًا".
181	71.70	- "إلا من تاب وآمن..... إلى الله متابًا".
		(26) الشعراء.
59	168...160	- "كذبت قوم لوط المرسلين..... لعملكم من القالين".
		(27) النمل.
15	35	- "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها".
73	48	- "لولا ستغفرون الله لعلكم ترحمون".
96	68	- "والذين لا يدعون مع الله..... ولا يزنون".
97	23	- "وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا".
99	40	- "ظهر الفساد في البر والبحر..... لعلهم يرجعون".

		(28) القصص.
07	07	- "إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين".
37	50	- "فإن لم يستحيوا لك..... هدى من الله".
		(29) العنكبوت.
03	69	- "والذين جاهدوا فينا..... المحسنين".
08	40	- "فكلاً أخذنا بذنبه..... يظلمون".
35	68	- "ومن أظلم ممن افترى..... مثنى".
59	29.28	- "ولو طأ إذ قال لقومه..... من الصادقين".
62	45	- "إن الصلاة تنهى الفحشاء والمنكر".
		(30) الروم.
14	40	- "ظهر الفساد في البر والبحر".
76	30	- "فأقم وجهك للدين..... من المشركين".
90.89	32	- "وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه".
90	33.32	- "وإذا مس الناس ضرا..... فسوف تعلمون".
166	29	- "فأقم وجهك للدين حنيفاً..... لا يعلمون".
		(31) لقمان.
142-42	12	- "إن الشراك لظلم عظيم".
		(32) السجدة.
11	20	- "وأما الذين فسقوا فمأواهم النار".
		(33) الأحزاب.
17	39	- "الذين يبلغون رسالات الله..... بالله حسنات".
169	21	- "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة..... كثيراً".
171	59	- "يا أيها النبي قل لأزواجك..... من جلايبهن".
173..171	36	- "وما كان لمؤمن..... من أمرهم".
		(34) سبأ.
34	33.31	- "ولو ترى إذ الظالمون..... له أنداد".
130	34	- "وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها..... كافرون".
		(35) فاطر.
27	06	- "إن الشيطان لكم عدو..... من أصحاب السعير".
158	32	- "فمنهم ظالم لنفسه..... بالخيرات".

		(37) الصفات.
129	147...139	"- وإن يونس لمن المرسلين.....فمتعناهم إلى حين".
130	144.143	"- فلو لا أنه كان من المسبحين.....يعثون".
		(38) ص.
26	77.76	"- أخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين".
37	25	"- يا داود إنا جعلناك.....عن سبيل الله".
76	33	"- ولقد فتنا سليمان.....أناب".
78	16	"- واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب".
79	29	"- ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب .
		(39) الزمر:
147.126.87.أ.ب.	51.50	"- قل يا عبادي الذين أسرفوا.....ثم لا تنصرون".
08	48	"- فأصابتهم سيئات ما كسبوا".
77	16	"- والذين اجتنبوا الطاغوت.....لهم البشري".
97	63	"- لمن أشركت ليحبطن عمله.....من الشاكرين".
166	21	"- أفقتن شرح الله صدره للإسلام.....في ضلال مبين".
		(40) غافر.
14	26	"- إني أخاف أن يبدل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد".
17	19	"- يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور".
20	51	"- إنا لننصر رسلنا.....الإشهاد".
52	35	"- كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار".
52	60	"- إن الذين يستكبرون عن عبادتي.....آخرين".
77	12	"- هو الذي يريكم آياته.....من "
85	02	"- غافر الذنب.....إليه المصير".
182	8.7.6	"- ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما.....الفوز العظيم".
		(41) فصلت
30	35	"- وأما يترعنك من الشيطان.....السميع العليم".
32	34.33	"- ولا تستوي الحسنة ولا السيئة.....ذو حظ عظيم".
97-58	46	"- من عمل صالحا فلنفسه.....للعبيد"

168	25	- "وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن لعلكم تعقلون" (42) الشورى
56	34	- "وإذا ما غضبوا هم يغفرون"
85.84	23	- "وهو الذي يقبل التوبة من عباده".
99	28	- "ظهر الفساد في البر والبحر..... لعلهم يرجعون"
108	26.25	- "وهو الذي يقبل التوبة من عباده..... ويزيدهم من فضله". (43) الزخرف
29	36	- "ومن يعيش عن ذكر الرحمن..... إنهم مهتدون"
101	72	- "وتلكم الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون" (45) الجاثية
35	23	- "أفأريت من اتخذ إلهه هواه..... من بعد الله" (46) الأحقاف
09	15	- "ويتجاوز عن سيئاتهم" (47) محمد
54	21	- "والذين كفروا يتمتعون..... مثوى لهم"
103	19	- "فقد جاء أشراطها" (48) الفتح
155	29	- "محمد رسول الله..... من أثر السجود" (49) الحجرات
11	06	- "إذا جاءكم فاسق بنبأ"
45	12	- "ولا يغتب بعضكم بعضا..... تواب رحيم"
154	11	- "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر..... خير منهم"
182	11	- "ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" (50) ق
77	8	- "تبصرة وذكرى لكل عبد منيب".

77	34-31	- "وأزلفت الجنة للمتقين..... أدخلوها بسلام"
79	32.31	- "وأزلفت الجنة للمتقين..... حفيظ"
125	30	- "يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد".
181	16	- "ولقد خلقنا الإنسان ما غرك بربك الكريم"
		- (51) الذاريات
75	57.56	- "وما خلقت الجن والإنس..... أن يطعمون".
		(53) النجم
42	29	- "فأعرض عمن تولى عن ذكرنا..... الحياة الدنيا".
96-49	31	- "الذين يجتنبون..... إلا اللثم".
97	39.38	- "وأن ليس إلا ما سعى..... سوف يرى"
		(59) الحشر
42	19	- "ولا تكونوا كالذين نسوا الله..... الفاسقون"
154	09	- "والذين تبوأوا الدار..... خصاصة"
163	20	- "لا يستوى أصحاب النار..... الفائزون"
		(60) الممتحنة
169	05	- "ربنا لا تجعلنا فتنة..... العزيز الحكيم"
182	04	- "ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير"
		(61) الصف
35.34	07	- "ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب.... القوم الظالمين"
170	3.2	- "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون..... ما لا تعلمون"
		(63) المنافقون
42	09	- "يا أيها الذين آمنوا..... هم الخاسرون"
170	08	- "ولله العزة ولرسوله..... لا يعلمون".
		(65) الطلاق
13	08	- "وكأين من قرية..... عذابا نكرا".

		(66) التحريم
69	08	" يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا "
		(67) الملك
32	10	" لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير "
181	14	" ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير "
		(68) القلم
129	50...48	" فاصبر لحكم ربك..... فجعله من الصالحين "
136	49	" لو لا أن تداركه نعمة من ربه "
		(69) الحاقة
07	37	" لا يأكله إلا الخاطئون "
		(70) المعارج
88...62	22...19	" إن الإنسان خلق هلوعا..... إلا المصلين "
		(71) نوح
73	11.10	" استغفروا ربكم..... مدرارا "
		(72) الجن
12	23	" ومن يعص الله ورسوله..... فيها أبدا "
		(74) المدثر
97	38	" كل نفس بما كسبت رهينة "
		(76) الإنسان
44	09	" إنما نطعمكم لوجه الله..... شكورا. "
95	03	" إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا "
		(79) النازعات
146...38	41.40	" وأما من خاف..... هي المأوى "
38	39.38.37	" فأما من طغى..... هي المأوى "
		(80) عبس

53	21...17	- "قتل الإنسان ما أكفره..... فأقبره" (82) الانفطار
101	06	- "يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم" (91) الشمس
195-95	10...7	- "ونفس وما سواها..... من دساها" (96) العلق
20	5.4.3.2.1	- "اقرأ باسم ربك..... ما لم يعلم" (104) الهمزة
46	01	- "ويل لكل همزة لمزة" (107) الماعون
43-23	6.5.4	- "فويل للمصلين..... الماعون" (111) المسد
46	04	- "حمالة الخطب" (112) الإخلاص
42	4.3.2.1	- سورة الإخلاص (113) الفلق
54	5.4.3.2.1	- سورة الفلق

ثانيا: فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
28	- إن الشيطان قد نفس أن يعبد المصلون.....
28	- إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي.....
31	- إني لأعلم كلمة لو قالها.....
41.40	- "ألا وإن في الجسد مضغة.....
41	- ألا أنبئكم بأكبر الكبائر.....
43	- أتخوف على أمي الشرك.....
44	- إن الصدق يهدي إلى البر.....
45	- أتدرون ما الغيبة.....
47-46	- إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا.....
47	- أول ما يقضى بين العباد.....
50	- إن الله كتب على ابن آدم حضه من الزنى.....
52	- إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره.....
54	- إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال.....
86	- إن الله عز وجل ييسط يده.....
91	- إن أهل الجنة لا يتراءون أهل الغرف.....
105	- إن العبد لا يحرم الرزق.....
107	- إن العبد ليذنب الذنب.....
108	- أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا.....
132	- إني معلمك كلمات.....
155	- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما.....
161	- اتق الله حيثما كنت.....
162.161	- إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة.....

52	- بينما رجل إزاره.....
132	- دعوة ذي النون في بطن الحوت.....
86	- والذي نفسي بيده لو لم تذبوا.....
98	- والذي نفس محمد بيده.....
113	- والله إني لأستغفر الله.....
113	- يا أيها الناس توبوا إلى الله.....
22	- كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حرث بالمدينة.....
30	- كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة.....
53	- الكبرياء ردائي والعظمة إزاري.....
61	- كانوا يحذفون من بحرهم.....
71	- كان إذا خرج من الخلاء.....
72	- كم المرسلون قال ثلاثمائة.....
86	- كل بني آدم خطاء.....
89	- كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا.....
30	- لا تجعلوا بيوتكم مقابر.....
46	- لا يدخل الجنة نمام.....
52	- لا يدخل الجنة من كان في قلبه.....
52	- لا يزال الرجل يذهب بنفسه.....
86	- لله أفرح بتوبة عبده.....
106	- لا تغضب فردد ذلك مرارا.....
107	- لو عملتم الخطايا.....
107	- اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت.....
107	- اللهم إني ظلمت نفسي.....
13	- المرء على دين خليله.....
22	- من أفتى بغير علم.....

23	- من حمل علينا السلاح فليس منا.....
31	- من قال لا إله إلا الله.....
44	- من سمع سمع الله به.....
63	- من استطاع الباءة فليتزوج.....
110	- من كان له مظلمة لأحد.....
106	- الندم توبة
92	- سبق المفردون قالوا وما المفردون.....
22	- القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار.....
107	- رب أعني ولا تعن عليّ.....
78	- شغلونا عن الصلاة الوسطى.....
157	- ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان.....

ثالثا: فهرس الاختصار

الصفحة	الشعر
88	-سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم *** ومن أكثر التسأل يوما سيحرم
104	-وشروطها من ذنبه أن يقلعها *** من فوره والعزم ألا يرجعها. وردوا الظلم ممكن والندم *** وباجتناب الاثم يحى اللمم
149.148	- قم في الدجى يا أيها المتعبد *** حتى متى فوق الأسرة ترقد.
170	- يا أيها الرجل المعلم غيره *** هلا لنفسك كان ذا التعليم.
173	-الأم مدرسة إذا أعددتها *** أعددت شعبا طيب الأعراق
174	- قم للمعلم وفه التبجيلا *** كاد المعلم أن يكون رسولا
178-177	-شبابي إذا كنت لا أستطيع *** أحقق فيه منى أمتي.

رابعاً: فهرس الأعلام والمترجمين

الصفحة	الإسم
05	- ابن منظور
33	- ابن القيم الجوزية
40	- أبو حامد الغزالي
68	- ابن تيمية
83	- ابن العربي
103	- ابن قدامة المقدسي
123	- ابن الكثير
69	- الزمخشري
69	- الحارث بن أسد المحاسبي
06	- الطبري
49	- الطاهر بن عاشور
30	- المحلي
38	- الماوردي
72	- المنذري
104	- النووي
30	- السيوطي
27	- الفضيل بن عياض
13	- القرطبي

خامسا: فهرس المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي الطبعة الثانية، دار الفكر .
- 3- الإسلام في الواقع الإيديولوجي المعاصر، الدكتور محمد البهي.
- 4- الإيمان والحياة : يوسف القرضاوي، طبعة دار الشهاب، باتنة الجزائر.
- 5- الإعلام للزركلي.
- 6- أدب الدنيا والدين، للماوردي ، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ بيروت.
- 7- أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر للطباعة.
- 8- أصول الفقه الإسلامي، بدران أبو العينين بدران، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 9- البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، الدكتور عزت علي عطية.
- 10- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، طبعة دار المعرفة، بيروت لبنان.
- 11- بين الدين والحياة، عبد المنعم النمر.
- 12- البداية والنهاية لعماد الدين ابن كثير، ط: دار المعارف.
- 13- الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي، شركة الشهاب الجزائر.
- 14- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم مكتبة دار البيان ط2 1997.
- 15- الدرر الكامنة، شهاب الدين بن حجر، ط : دار الجيل.
- 16- دراسات وتوجيهات إسلامية، أحمد سحنون المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1998.
- 17- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي طبعة دار الكتاب العربي.
- 18- هدية العارفين للبغدادي .

- 19- الزواجر عن اقتراب الكبائر لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي، ط : دار المعرفة بيروت لبنان.
- 20- طبقات الفقهاء للشيرازي.
- 21- طبقات الحفاظ للسيوطي.
- 22- طريق المهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية.
- 23- كفاح دين للشيخ محمد الغزالي، مطبعة أمزيان، مكتبة رحاب 1988.
- 24- الكامل في التاريخ، لعز الدين بن الأثير، ط : الأميرية، دار المعرفة.
- 25- كتاب تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب، للإمام يحيى بن حمزة اليماني .
- 26- كتاب الكبائر شمس الدين الذهبي، ط : دار الرائد العربي.
- 27- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي، دار إحياء التراث العربي.
- 28- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير.
- 29- معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني تحقيق ندم مرعشلي، ط: دار الفكر.
- 30- معجم المفسرين لنويهض عادل مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
- 31- من توجيهات الإسلام لمحمود شلتوت، الطبعة الثانية دار الشروق.
- 32- المنتظم لابن الجوزي .
- 33- المستخلص في تزكية الأنفس، ط: دار الفكر.
- 34- متن اللغة لأحمد رضا، ط: دار المعرفة.
- 35- مع الأنبياء في القرآن لعفيف عبد الفتاح طباعة طبعة دار العلم للملايين ط13 1984.
- 36- ميزان الاعتدال للذهبي .
- 37- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

38- مجموع فتاوي ابن تيمية.

39- موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي. ط دار الرائد العربي الطبعة الثالثة 1987

40- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم.

41- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للشيخ عبد الحميد بن باديس، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة.

42- من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان مشاهير عرفوا الطريق لأسماء أبو بكر الجهيني، ط : دار الهدى عين مليلة الجزائر.

43- النبوة والأنبياء لمحمد علي الصابوني.

44 - سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، لمحمد الصادق عرجون.

45 - سراج السالك، شرح أسهل المسالك لعثمان بن حسين بري الجعلي المالكي. مؤسسة العصر

46- العبر في خبر من عبر، لشمس الدين الذهبي ، ط: دار الكتب العلمية.

47 - على طريق العودة إلى الإسلام رسم لنهاج وحل لمشكلات، لمحمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الثانية 1987.

48 - العائدون إلى الله، لمحمد بن عبد العزيز المسند.

49 - الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي، ط : دار الفكر.

50 - في ضوء القرآن والسنة للدكتور التهامي نقرة الشركة التونسية للتوزيع.

51 - الفوائد لابن قيم الجوزية ، ط : دار النفائس تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش.

52 - الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ليوسف القرضاوي.

53 - قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر لحسين بن محمد الدمغاني، ط: 5.

54 - القاموس المحيط للفيروزابادي، ط : دار الكتاب العربي.

- 55- القرآن وعلم النفس، للدكتور محمد عثمان نجاتي، ط : دار الشروق 1987
- 56 - روح الدين الإسلامي لعفيف عبد الفتاح طيارة. ط دار العلم للملايين ط 16- 1977
- 57 - روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي، ط : الدار السلفية.
- 58 - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي، تحقيق عبد الله أحمد أبو زيد.
- 59 - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ط : دار صادر.
- 60 - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- 61 - تفسير روح المعاني للألوسي البغدادي، ط : دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- 62 - تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، ط : دار الفكر.
- 63- تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ط : دار الفكر.
- 64 - تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط : دار إحياء التراث العربي الطبعة الثالثة.
- 65 - تفسير القرآن العظيم لابن كثير دار الأندلس ط 6 1984.
- 66 - تفسير الكشف للزمخشري، ط : دار المعرفة بيروت.
- 67 - تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ط : دار الفكر.
- 68 - تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور دار التونسية للنشر تونس المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
- 69 - تفسير المنار لرشيد رضا، ط : دار المعرفة.
- 70 - تفسير في ضلال القرآن، لسيد قطب، ط : دار الشروق.
- 71 - التفسير الكبير للفخر الرازي دار إحياء التراث العربي.
- 72 - تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم لسميح عاطف الزين الطبعة الثانية.
- 73 - التهذيب للحافظ.

74- تذكرة الحفاظ للذهبي.

75 - التوبة لابن تيمية حققها وخرج أحاديثها عبد الله الحجاج. ط. دار الصحاح بالتحقيق

76- تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، ط : دار العلم للملايين.

77 - الترغيب والترهيب للمنذري طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ط3 : 1968.

78 - تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لجمال الدين القاسمي

79 - الخطايا في نظر الإسلام لعفيف عبد الفتاح طبارة.

80- خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي طبعة مكتبة رحاب ط15: 1987.

بالإضافة إلى مجلة منبر الإسلام لعبد المنعم مغربي عدد 5 / 1973 وجريدة الخير العدد 2576 و قرص مضغوط تخريج الأحاديث شركة صخر للطبع والتأليف الكويت سنة 1996.

ساوسا : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ.ب.ج.د.هـ.و.ز.ح.ط	المقدمة
	الفصل الأول
1	المعاصي، أسباب الوقوع فيها وأقسامها وآثارها وكيفية علاجها
3	تمهيد
4	المبحث الأول
5	المطلب الأول : التعريف بالمعصية لغة واصطلاحاً
6	المطلب الثاني : مسميات المعصية الموجبة للعقاب في القرآن الكريم
16	المبحث الثاني : أسباب الوقوع في المعصية
17	أولاً : ضعف الوازع الديني
17	أسباب ضعف الوازع الديني
18	1- النفس الأمارة بالسوء
18	2- قرناء السوء
18	3- غلبة الرعة المادية
18	- هلاك الأمة الإسلامية في ضعف الوازع الديني وكيفية تقويته
20	ثانياً : الجهل بتعاليم الإسلام وفيه
21	1- الجهل بأمور الفتوى والتعليم
23	2- حصر الدين في بعض التعاليم دون الأخرى
24	3- فصل الدين عن الحياة السياسية والاقتصادية
26	ثالثاً : طاعة الشيطان
32	رابعاً : التقليد الأعمى
35	خامساً : اتباع الهوى
39	المبحث الثالث : أقسام المعاصي وفيه :
40	المطلب الأول : أقسامها باعتبار الحقوق
40	أولاً : المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العبد وربه

40	ثانيا : المعاصي المتعلقة بالحقوق التي بين العباد
40	المطلب الثاني : أقسامها باعتبار الجوارح
40	أولا : معاصي القلوب
44	ثانيا : معاصي اللسان
47	ثالثا : معاصي الجوارح
49	المطلب الثالث : أقسامها باعتبار الإثم
49	أولا : الكبائر
50	ثانيا : الصغائر
52	المطلب الرابع : أقسامها باعتبار صفات العبد
52	أولا : الصفات الربوبية
53	ثانيا : الصفات الشيطانية
54	ثالثا : الصفات البهيمية
55	رابعا : الصفات السبعية
57	المبحث الرابع
58	تمهيد
58	المطلب الأول : آثار المعاصي في تقويض الأمم
62	المطلب الثاني : كيفية علاج الإسلام للعصاة
	الفصل الثاني
64	التعريف بالتوبة وما في معناها من الألفاظ
65	المبحث الأول : التعريف بالتوبة
66	تمهيد
67	أولا : التعريف اللغوي
68	ثانيا : تعريفها اصطلاحا
70	المبحث الثاني : الألفاظ المشابهة للتوبة في المعنى
71	المطلب الأول : التعريف بالاستغفار
71	أولا : التعريف بالاستغفار لغة واصطلاحا
71	أ / الاستغفار في اللغة
72	ب / الاستغفار في الاصطلاح

74	المطلب الثاني : التعريف بالإنبابة
74	أولا : التعريف بالإنبابة لغة واصطلاحا
74	أ / التعريف اللغوي
75	ب/ التعريف بالإنبابة اصطلاحا
76	ثانيا : الإنبابة في القرآن الكريم
77	المطلب الثالث: التعريف بالأوبة
77	أولا : تعريف الأوبة لغة واصطلاحا
77	أ / التعريف اللغوي
78	ب/ التعريف الاصطلاحي
78	ثانيا: الأوبة في القرآن الكريم
	الفصل الثالث
80	أركان التوبة وشروطها وحكمها والحكمة من مشروعيتها
81	المبحث الأول : أركان التوبة وفيه :
82	تعريف الركن
83	الركن الأول : التواب
88	الركن الثاني : التائب
95	الركن الثالث : الذنب المتوب منه
102	المبحث الثاني : شروط التوبة وفيه :
103	تعريف الشرط
104	أولا : الإقلاع عن الذنب
106	ثانيا : الندم
108	ثالثا : العزم على عدم العودة
109	رابعا : رد المظالم
112	المبحث الثالث : حكم التوبة
116	المبحث الرابع : الحكمة من مشروعية التوبة
	الفصل الرابع
119	نماذج لبعض التائبين في القرآن الكريم وفيه :

120	المبحث الأول : توبة آدم عليه السلام وفيه
121	أولا : قصة خروجه من الجنة
122	ثانيا : توبته
124	عصمة الأنبياء
126	العبرة من توبة آدم عليه السلام
127	المبحث الثاني : توبة يونس عليه السلام وقومه
128	أولا : ذكره في القرآن الكريم
130	ثانيا : قصته مع قومه
131	ثالثا : توبته وقومه
132	رابعا : العبر المستخلصة من قصته
134	المبحث الثالث : توبة بني إسرائيل
135	أولا : نعم الله عليهم
137	ثانيا : تصرفاتهم السيئة مع نبي الله موسى عليه السلام
140	ثالثا : عبادتهم العجل وتوبتهم إلى الله
	الفصل الخامس
143	آثار التوبة في القرآن الكريم
144	المبحث الأول : الآثار النفسية للتوبة
145	أولا : الشعور بالراحة النفسية
146	ثانيا : التخلص من عقدة الشعور بالذنب والقنوط من رحمة الله
149	ثالثا : المساهمة في تكوين شخصية سوية
151	المبحث الثاني : الآثار الاجتماعية للتوبة
152	أولا : تطهير المجتمع من الرذيلة
153	ثانيا : بث الطمأنينة بين أفراد المجتمع
154	ثالثا : إشاعة معاني الاخوة والاتحاد بين أفراد المجتمع
156	المبحث الثالث : الآثار الأخروية
157	أولا : محبة الله تعالى للتائبين
159	ثانيا : تبديل السيئات حسنات

الفصل السادس

162

165

166

167

169

171

172

174

175

179

183

184

198

201

202

203

208

213

تصريحات لبعض التائبين والتعليق عليها

تمهيد

المثال الأول

التعليق عليه

المثال الثاني

التعليق عليه

المثال الثالث

التعليق عليه

الخاتمة

الفهارس

- فهرس الآيات

- فهرس الأحاديث

- فهرس الأشعار

- فهرس الأعلام.

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس الموضوعات

- تصويب الأخطاء

فهرست الأخطاء

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
-والآيات والآيات	والآيات	03	08
-وما توعدا الله	وما توعد الله	15	05
-أطلق العنان لإشباع	أطلق العنان لإشباع	18	14
-فعن جابر ابن عبد الله	فعن جابر بن عبد الله	28	02
عدي ابن ثابت	عدي بن ثابت	31	01
ووجهه	وجهه	48	09
حلا	حدا	51	03
أقرب منه من إلى	أقرب منه إلى الإنسان	55	09
دعى	دعا	61	04
معاني الأوبة	معاني الإنابة	74	13
ولا تسمى التوبة أوبا	ولا تسمى التوبة أوبا	79	05
وأسماءه	وأسماءه	84	13
عن عباد هو يعفو	عن عباده ويعفو	85	16
معاذر الخاطئين الخاطئين	معاذر الخاطئين	87	19
وفي ذلك تنويهه	وفي ذلك تنويه	88	08
قال علمني شيء	علمني شيئا	106	04
فيونس تجعل	فيونس تعجل	133	03
لم يجدوا ماء	لم يجدوا ماء	136	07
قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي	قال رب لا أملك إلا نفسي وأخي	138	12
لما كان	لمن كان	177	18